جهود الامير عبد القادر وخلفائه في تدعيم الجبهة الشرقية القسنطينية (1)

د. يحيى بوعزيز
جامعة وهران



لقد كانت ظروف الشرق الجزائرى ، بعد حملة الاحتلال الفرنسى للجزائر العاصمة عام 1830 ، تختلف عن ظروف الناحية الغربية للبلاد ، بسبب التطورات التى حصلت فى كل منهما كنتيجة لتلك الحملة وما انجز عنها من مشاكل وأحداث ٠

فباى الغرب الجزائرى ، أو بايليك وهران ، لم يشارك فى مقاومة حملة الاحتلال ، بل انه استسلم للفرنسيين ، وسلم لهم مدينة وهران ٠ فنفوه الى خارج البلاد ، وانفسح المجال للامير عبد القادر ليبرز كبطل للثورة والمقاومة فى هذه المنطقة ، مدعما بالتأييد الشعبى النابع من الاختيار والشورى (1) ٠

أما باى قسنطينة ٠ أو بايليك الشرق ، الحاج أحمد باى ، فقد شارك فى مقاومة الحملة الفرنسية على رأس حوالى أربعمائة فارس (2) ، وبعد سقوط العاصمة فى يد

1) للمزيد من التفاصيل عن مقاومة الامير عبد القادر ٠ راجع كتابنا : الامير عبد القادر رائد الكفاح الجزائرى ٠ ط 2 (دار الكتاب الجزائرى ـ 1964) ، 196 ص ٠

2) مذكرات أحمد باى : ترجمة محمد العربى الزبيرى ، (الجزائر ـ 1973) ص 11 ٠ وقد ذكر أحمد بوضربة في مذكراته بأن عدد الذين شاركوا مع الحاج أحمد باى فى مقاومة الحملة الفرنسية ، ألفى رجل ٠ أنظر : نفس المصدر ص 119 ٠

القوات الفرنسية انسحب الى قسنطينة ، واعتصم بها ، وشرع فى مقاومة الغز والتوسع الاستعمارى الفرنسى ، استنادا الى الشرعية التى كانت له خلال العهد التركى • ومن هنا نشأ الصراع والتنافس بينه وبين أمير الغرب الجزائرى ، وكان ذلك من أسباب خسارتهما معا •

وكان الامير عبد القادر أكثر حظا حيث استطاع أن يمد سيطرته ونفوذه على معظم الناحية الغربية من البلاد ، وعلى أجزاء من الوسط جنوب سهل متيجة • وعندما حاول أن يمد سيطرته الى شرق البلاد اصطدم بمقاومة الحاج أحمد باى وانصاره ، واستعمل مختلف الوسائل لمواجهته ، ومنها تحريض الناس ضده ، كما أورد ذلك الحاج أحمد باى فى مذكراته على لسان الامير قائلا : « واذا لم تفعلوا ذلك فانى أثير عليكم الفرنسيين وفى وقت وجيز ستسحقكم قواتى وقواتهم » (3) •

وكلما سيطر الامير على منطقة الاوعين عليها واليا من قبله بلقب (الخليفة) • ومن بين ولاياته بشرق البلاد : ولاية مجانة بجبال البيبان غرب سطيف ، وهى الولاية الخامسة ، وولاية الزيبان والصحراء الشرقية ، وعاصمتها بسكرة ، وهى الولاية السادسة التى أدت سيطرته عليها الى حصول الصدام المسلح مع الحاج احمد باى ، واتباعه ، الذين اعتصموا بالواحات الصحراوية ، وجبال الاوراس ، بعد أن فقدوا مدينة قسنطينة عاصمة البايليك عام 1837 •

وكان من الطبيعى أن يحصل هذا الصدام ، لان الحاج أحمد باى ، زيادة عن محاولاته خلافة حكومة الداى حسين الراحلة بدعوى أنه كان نائبا للداى بصورة شرعية ، كان يعتبر بايليك الشرق منطقة نفوذه الشرعى التى لا ينبغى لاحد أن يمد يده اليها بأى حال من الاحوال .

ومن بين ولاة الامير عبد القادر على ولاية الزيبان والصحراء الشرقية : الحسن ابن عزوز ، ومحمد الصغير بن عبد الرحمن (4) • ومن الذين تعاونوا مع خلفاء الامير

---

3) نفس المصدر ، ص 80 •

4) الامير محمد : تحفة الزائر فى مآثر الامير عبد القادر وأخبار الجزائر • (الاسكندرية – 1903) ، ص 195 •

فى هذه المنطقة الشرقية : محمد الحسناوى بن بلقاسم شيخ الحنانشة ، وعلى بن سالم الورقلى ، وابراهيم بن عون قائد الناحية الشرقية ، وهـــم الذين اتخذنا رسائلهم ، موضوع هذه الدراسة ، الى جانب رسائل الامير ، وذلك للتدليل على مدى اهتمام الامير بهذه المنطقة وما وراءها ، رغم بعدها عن مركز حكمه ونفوذه ، ورغم الصعوبات الكبيرة التى كان الفرنسيون يضعونها أمامه باعتبارهم يتمركزون فى الوسط بينها وبينه .

أ ـ الحسن بن عـزوز :

ينتمى الحسن بن عزوز الى أسرة بن عزوز الدينية ذات الشهرة والمكانة فى اقليم الزيبان ، وقدمت من الناحية الغربية ، واستقرت فى واحة البرج قرب واحة بسكرة منذ حوالى خمسة أجيال .

وقد نشأ الحسن بن عزوز فى واحة طولقة ، وعمل خوجة (كاتبا) لـدى فرحات ابن سعيد بن بوعكاز ، خصم الحاج أحمد باى ، لعدة سنوات . وفى شهر فيفرى 1832 كلف هو والخوجة السعيد بن دحمان ، بحمل رسالة من فرحات بن سعيد الى الجنرال روفيقو بالجزائر العاصمة ، يعلمه فيها باستعداده لمساعدته فى القضاء على الحاج أحمد باى ، واحتلال عاصمته مدينة قسنطينة . وعندما عادا من مهمتهما فى شهر مـارس اعترضهما سكان قرية العوفية قرب الحراش ، وسلبوا منهما امتعتهما ، وقتلوا لهما بعض اتباعهما (5) .

بقى الحسن بن عزوز يعمل لدى فرحات بن سعيد عدة سنوات الى أن تم امضـاء معاهدة تافنة بين الامير عبد القادر ، والفرنسيين فى نهاية ماى 1837 ، ثم بدأ يغـير موقفه واتجاهه ، وعزم على استغلال الظروف لصالحه ، وصادف فى هذه الفترة أن الامير عبد القادر راسل زعماء الاسر الجزائرية الكبيرة فى بايليك قسنطينة ، وطلب منهـم تأييده والانضواء تحت سلطته وامارته الفتية ، أمثال ، بن يلس ، وبن عبد السلام المقرانى ، وأحمد الشريف ، وبن فندوز ، وبوعكاز بن عاشور . فرأى الحسن بن عزوز

---

5) Charles Feraud : Le Sahara de Constantine (Alger 1887) p. 264 - 272 et 295.
وقد أورد فيرو نص رسالة فرحات بن سعيد بالعربية ، وترجمة لها بالفرنسية .

الفرصة مواتية له ، وتقرب من الخليفة البركانى عامل الامير ، فعينه شيخا على واحة الزعاطشة بالزيبان قرب بسكرة ٠

ولم يتوقف طموحه عند هذا الحد ، فأرسل الى الامير عبد التادر رسولا سريا يدعى سى السنوسى ، حمله رسالة اليه شرح له فيها ضعف مركز الحاج أحمد، وطلب منه أن يعينه خليفة له على اقليم الزيبان كله ، على أن يضمن له تقديم مبالغ مالية كبيرة ٠ فقبل الامير عرضه وسماه خليفة على اقليم الزاب بعد أن عزل منه فرحات بن سعيد وسجنه فى تاكدمت ٠ وكلفه بمحاربة الفرنسيين ، واعوانهم بالمنطقة خاصة بو عزيز بن قانة ، الذى خلع عليه الفرنسيون منصب شيخ العرب ، وكلفوه بمقاومة الحاج أحمد بـاى واتباعه رغم أنه كان صهرا له ٠

كلف الامير عبد القادر ، عامله البركانى فى بوسعادة ، بتنصيب الحسن بن عزوز فى منصبه بمدينة المسيلة خلال عام 1838 ، فحمل اليه مدفعين ، ومجموعة من الاسلحة والذخائر ، وزوده بمائة جندى منظم ليساعدوه فى تنظيم الدفاع والمقاومة (6) ٠

وخلال استقراره بالمسيلة ، عمل على تنظيم عمليات حربية عـلى منطقة البيبان ، ومجانة الخاصعة لعائلة المقرانى ، ولكنه لم يصب نجاحا ٠ واشتد ضغط بن قانة واتباعه ضده ، فاستنجد بأحمد بن عمر خليفة الامير فى الحضنة الذى أنجده على رأس حوالى 800 رجلا ، وخاضوا جميعا معركة كبيرة فى (قلتة حمامة) قرب الحوش فى واد سالون ضد الغراية الصحراويين اتباع بن قانة يوم 24 مارس 1840 ، وهزموا فانسحبوا الى المسيلة واجتمعوا هناك بالحاج مصطفى شقيق الامير عبد القادر ، وخليفة مجانة الخروبى.

وقد ذكر فيرو بأن الامير عبد القادر أفرج على فرحات بن سعيد فى تاكدمت، وطلب منه أن يذهب ليحل فى مكان الحسن بن عزوز على ولاية الزيبان ، ويعمل على التخلص منه، واعادة سلطته (الامير) على تنك المناطق، واستبقى عنده فى تاكدمت عائلته حتى يضمن تنفيذ الامر وتطبيقه ، ويتأكد من اخلاصه فى نفس الوقت (7) ٠

---

6) نفس المصدر ، ص 295 ـ 300 ٠

7) نفس المصدر ، ص 305 ـ 312 و 323 ـ 324 ٠

وعندما التحق فرحات بن سعيد بالمنطقة ، اتصل بالحاج مصطفى الذى كان يقوم بعمليات عسكرية فى أحواز سطيف ، واشترك معهما الحسن بن عزوز ، الذى كان لا يعلم على ما يظهر بواطن الامور ، فى دراسة الاوضاع على ضوء هزيمة ربيع عام 1840 وبرز فى هذه الفترة كذلك أحمد بلحاج شيخ سيدى عقبة الذى بدأ نجمه يظهر ويلمع فى المنطقة ، واتضحت أطماعه فى الوصول الى منصب الخليفة على اقليم الزيبان كذلك ، كنتيجة لهزائم الحسن بن عزوز ، وفرحات بن سعيد . وكانت القضية التى حاولوا التعاون فى مواجهتها هى هجمات العزابة الصحراويين ضدهم وضد اتباعهم وسلطتهم .

ونظرا لعدم نجاح الحسن بن عزوز ، فى مهتمه ، وفشل فرحات بن سعيد فى انقاذ الموقف ، فقد أمر الامير عبد القادر بعزل الحسن بن عزوز من منصبه ، وعوضه بأحمد بلحاج ، الذى يعرف كذلك بمحمد الصغير بن عبد الرحمن ، وذلك فى ربيع عام 1841 (8) .

وقد تعرض الحسن بن عزوز بعد عزله الى هزيمة أمام قوات الجنرال نيقرى Négrier فى المسيلة ، فاعتصم بالمناطق الجبلية حولها ، والحق الفرنسيون مدينة المسيلة بسلطة الخليفة أحمد المقرانى بمجانة، وحاول بن عزوز عدة مرات أن يستعيد سلطته عليها ، وادعى للناس بأن الامير عبد القادر قد عفى عنه ، وأنه عن قريب سيعيده الى منصبه . ولكن السكان قبضوا عليه فى شهر جويلية 1841 ، وسلموه الى الخليفة المقرانى الذى سلمه بدوره الى السلطات الفرنسية التى قادته الى قسنطينة ، واعتقلته هناك بعض الوقت ، ثم نفته الى جزيرة سان مارقوريت بفرنسا ، وبقى هناك حتى مطلع عام 1844 ، ثم أطلق سراحه وأعيد الى الجزائر ، وفرضت عليه اقامة جبرية بمدينة عنابة حتى توفى بها عام 1847 (9) .

ان سيرة هذا الرجل ، ونشاطه السياسى والعسكرى خلال ولايته القصيرة على المسيلة وأحوازها ، تحت سلطة الامير ، يشوبها الغموض ، كما أن مواقفه وعلاقاته

8) نفس المصدر ، ص 324 ـ 327 .
9) نفس المصدر ، 327 ـ 335 .

بالناس ، والامير ، غير واضحة ، وتحتاج الى بحث • غير ان نشاطه السياسى بعد أسره يكشف عن طموحه الواسع ، والمتزايد للسلطة ، بقطع النظر عن الوسائل والسبل •

فبمجرد أن استقرابه المقام فى جزيرة سان ماقوريت ، شرع فى كتابة الرسائل ، منذ شهر سبتمبر 1841 الى الشخصيات الكبيرة ، الفرنسية والجزائرية، الرسمية ، والمرموقة ، أمثال : الملك الفرنسى لويس فيليب وزوجته ، ورجال حاشيته ، وأمراء العائلة المالكة ، والماريشال سولت . والجنرال بوايى فى طولون ، والجنرال سباسيانى فى مرسيليا ، ومدير الشؤون الافريقية فى وزارة الحرب ، والامير عبد القادر ، ومصطفى بن اسماعيل ، وسى العربى (10) •

ومن هذه الرسائل : واحدة يوم 4 جانفى 1842 ، وسبعة يوم 27 جانفى 1842 ، وخمسة يوم 19 ديسمبر 1842 ، وستة يوم 31 ديسمبر 1842 ، وتسعة يوم 15 مارس 1843 ، وواحدة يوم 12 جوان 1843 ، وخمسة يوم 16 جوان 1843 • هذا زيادة على الرسائل الكثيرة التى وجهها الى أصدقائه وأفراد عائلته ، وأهملت ولم يجر الاهتمام بها • وبسبب هذه الرسائل المكثفة اعتبره الجنرال نيقرى خطيرا ، وتوجد هذه الرسائل والتقارير فى ارشيف باريس الوطنى (A.N.P.) (11) (11) •

ولسنا ندرى كيف سمح الفرنسيون له بهذه المراسلات الواسعة ، ولكن محتوى هذه الرسائل يدل على أنهم كانوا يهدفون الى استغلاله ضد المقاومة الجزائرية ، ورجالها خاصة الحاج أحمد باى ، والامير عبد القادر • ولربما كان هذا هو السبب فى اسراعهم لاطلاق سراحه من الاسر بمنفاه عام 1844 •

ففى ديسمبر 1841 راسل الامير عبد القادر ، وحثه على مراسلة الملك الفرنسى لويس فيليب لتحقيق الصلح ، وشجعه على قبول مبدا دفع الجزية للفرنسيين ، غير أن الامير سكت عنه ، واهمل الجواب عليه ، لانه فى غنى عن نصائحه ، اذا لم يعتبر ذلك تطاولا منه عليه •

---

10) X. Yacono : « Les premiers prisoniers algériens de l'île Saint Marguerite ». Rue d'Histoire Maghrébine (Tunis - Janvier 1974) n° 1, pp. 40 - 41 et 57.
11) A.N.P. Carton F 80 - **568, 571, 574.**

وفى يوم 27 جانفى 1842 كتب رسالة الى الملك الفرنسى عاتبه فيها على تعيين عدد من الجزائريين فى وظائف جديدة مثل : يوسف التركى باى عنابة ، ومحمد بن الشيخ باى قسنطينة ، وأحمد بن مزراق باى تيطرى ، وبوشناق باى مستغانم ٠ وعرض عليه أن يقترح له الوسائل الكفيلة للقضاء على الامير عبد القادر ، والحاج أحمد باى ، على أن تعطى له منطقة قلعة بنى عباس ليتخذها مركزا له يسيطر منها على كل بلاد العرب ٠

ان محاولة افتكاك مدينة المسيلة من أحمد المقرانى عام 1841 قبل اعتقاله ، واقتراحه هنا فى هذه الرسالة بأن تعطى له قلعة بنى عباس ، يوضحان عداءه وخصومته لعائلة المقراني رغم أن بعض أفرادها كانوا فى خدمة الامير عبد القادر الى ما بعد عبور الفرنسيين لمضيق البيبان فى أكتوبر 1839 ، ونعنى به محمد بن عبد السلام المقرانى ٠

وفى رسالة 12 فيفرى 1842 ، اقترح على الملك الفرنسى أن يعينه خليفة على الجزائريين ، على أن يدفع للسلطات الفرنسية مبالغ مالية سنوية هائلة حددها كما يلى : 40 ألف رأس غنم ، و 4 آلاف بغل ، وألف حصان ، و 40 ألف قنطار صوف ، و 40 ألف حبة بيض الدجاج ، و 40 ألف قنطار ملح ، و 4 آلاف صاع قمح ، و 40 ألف قنطار خشب (12) ٠

وفى يوم 12 جوان 1843 كتب تقريرا كبيرا ضمنه مشروعا من سبعة وعشرين مادة ، وأرسله الى الملك الفرنسى اقترح فيه استعداده للقضاء على ثورة الامير عبد القادر ، والحاج أحمد باى ، وكل العناصر التركية الباقية فى الجزائر ، كما اقترح عليه أشياء أخرى فى ميدان الاقتصاد ، والحياة الاجتماعية (13) ٠

نموذجان من رسائله خلال ولايته على المسيلة :

لقد قام الحسن بن عزوز بنشاط سياسى واسع ، وهام ، خلال ولايته القصيرة كخليفة للامير على ولاية الزيبان ٠ وبذل جهده ليربط الصلة ويوثقها بين الامير عبد القادر ، وباى تونس حمودة باشا . ووجه الى الاخير رسالتين فى الموضوع يؤكد فحواهما على مدى فهمه للاحداث والتوقعات ٠

---

12) Yacono : pp. 57 - 59.

13) نفس المصدر ٠

ففى الرسالة الاولى أخبره : « أنـه لما ملك عدو اللــه الارض ، بل قسنطينة ، واختلفت كلمة الاسلام ، وفشلوا وضعفوا على الدب ودرء العدو ، وأراد أن يملـك الارض امتثلنا قول الله تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة**) . وسرنا الى مولانا السيد الحاج عبد القادر لما نعلم فيه من النجدة والقوة ، ونصرة الاسلام ، ودفع كل مفسدة ، وبذل نفسه فى اصلاح الامة وطلبنا منه أن يجوس خلال قطرنا ويشد عضدنا ... ووافانا على هـذه الناحية وأمـدنا بمحلة عظيمة فأخرجنا من كان فيها من المفسدين » . ثم خلص الى غرضه الذى يرمى اليـه وقال له : « فان ظهر لك أن نكون صلة بينك وبينه فى المعرفة لتزول الامور المختلفة، وتجتمع الكلمة الشريفة ، وتدخل فى قـوله تعـالى : (**ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم**) . وفى قوله تعالى : (**تعاونوا على البر والتقوى**) ... فنحن بذلك بعـلاء وباثباتها حفلاء » . وفى الاخير حذره من مغبة تقرب الفرنسيين منه قائلا : « نعم وأنت كن فطنا ، لبيبا ، عاقلا ، وانظر عاقبة الامور من جانب الكفرة ، ولا تظن ودهـم من جانب الحب بل من جانب المكر والخديعة وما شغلهم عنكم الا نحن . ولو لا نحن لرجعوا اليكم . وها نحن مشغولون الا بهم وأنت منا والينا . والحب بيننا سابق ولاحـق لا ينفك أبدا » . وختم رسالته بقوله : « بأمر السيد الحسن بن عزوز ، خليفة أمـير المؤمنين » (14) .

أما الرسالة الثانية فقد كرر فيها نفس الافكار التى ذكرها فى الاولى، غير أنه أضاف فيها قوله : « وها نحن كتبنا الى السيد أحمد باشا أجوبة فتناظر أنت واياه فى ذلك ، وأما حب النصارى لكم ، ومرادهم فهى مكر وخديعة ، وما قصدهم الا بعد امساكهم عمالة الجزائر يرجعون لكم » (15) .

وفيما يلى نصا الرسالتين ، وأصلاهما ينشران هنا لاول مرة وعثرنا عليهما فى أرشيف الحكومة التونسية (أ. ح. ت.) :

---

14) أ. ح. ت. صندوق 78 ، ملف 929 ، وثيقة رقم 33 ، بدون تاريخ ، وفى اعلاها ختم صاحبها . والاقواس حول الآيات القرآنية من وضعنا .

15) نفس المصدر ، وثيقة رقم 34 بدون تاريخ وفى أعلاها خاتم صاحبها . أما الرسائل التى ذكر أنه أرسلها الى أحمد باشا فلم نعثر عليها فى الصندوق .

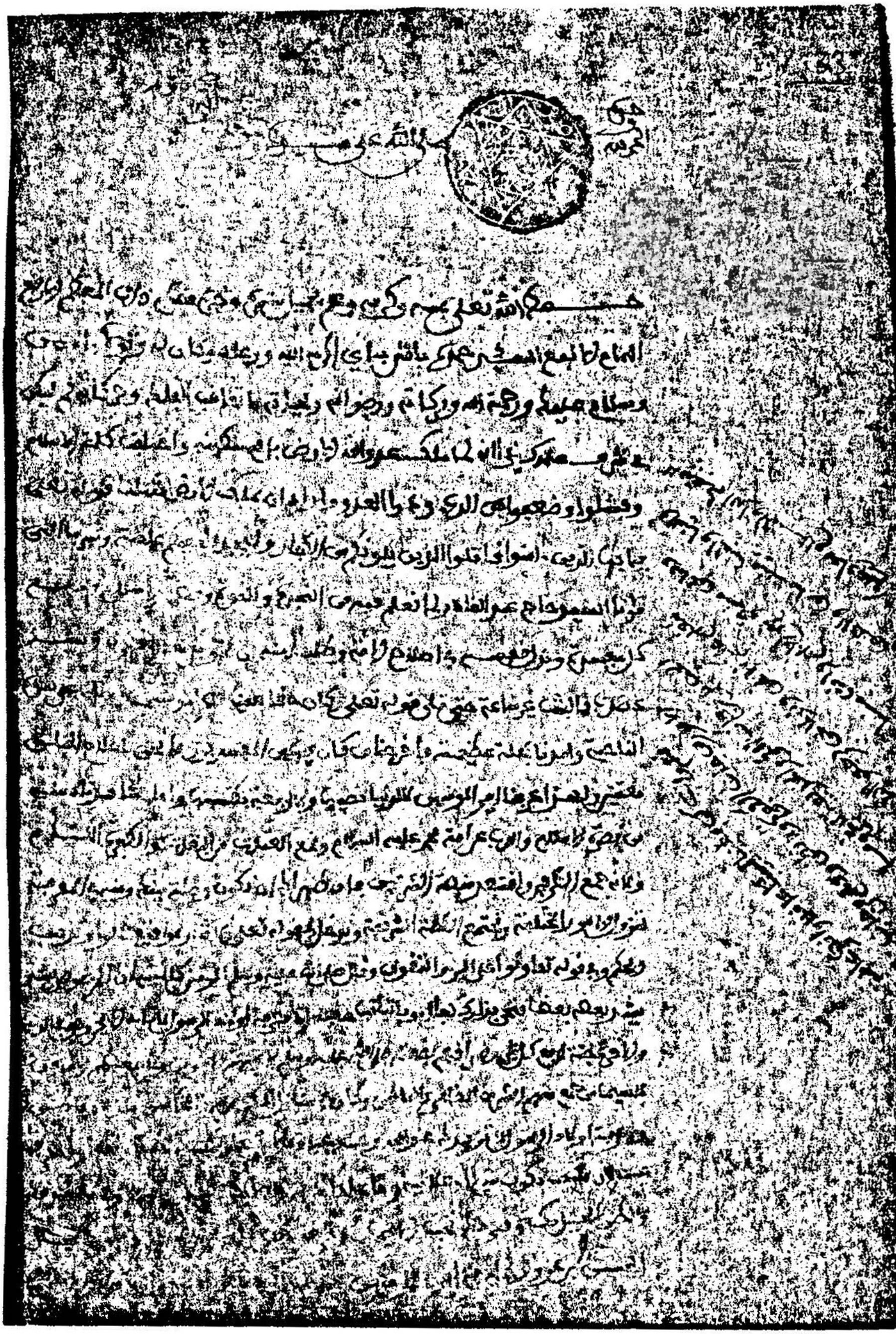
الوثيقـة الاولى :

رسالة الحسن بن عزوز خليفة الامير عبد القادر الى حمودة باشا بتونس حول ربط الصلات بينه وبين الامير عبد القادر

الحمد لله وحده (16) وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم .
حفظ الله تعالى (كذا) بمنه وكرمه وعم بجميل ستره وخيره مقام ذات المعظم الارفع الهمام الانفع السيد حمده باش باى أكرمه الله ورعاه وكان له وتولاه آمين وسلام عليك ورحمة الله وبركاته ورضوانه وتحياته ما تعاقب الفلك وحركاته ثم ليكن فى شرف علمك خيرا أنه لما ملك عدو الله الارض بل قسنطينة واختلفت كلمة الاسلام وفشلوا وضعفوا عن الدب ودرء العدو وأراد أن يملك الارض امتثلنا قوله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلضة** » (كذا) وسرنا الى مولانا السيد حاج عبد القادر لما نعلم فيه من النجدة والقوة ونصرة الاسلام ودفع كل مفسدة وبذل نفسه فى اصلاح الامة وطلبنا منه أن يجوس خلال قطرنا ويشد عضدنا فما لبث غير ساعة حتى تلى (كذا) قوله تعالى : «**وكان حقا علينا نصر المؤمنين**»، ووفانا على هذه الناحية وأمدنا بمحلة عظيمة فاخرجنا من كان فيها من المفسدين وها نحن باصلاح الخلق معتنين ولهذا عرفنا أمير المؤمنين لا لدنيا نصيبها ولا لرفعة نكسبها وأما شاهدناه منه من نصرة الاسلام والذب (كذا) عن أمة محمد عليه السلام وقمع العتات (كذا) من البغات (كذا) والكفرة اللئام ولانه جمع الطرفين واقتعد منصة الشرفين فان ظهر لك أن نكون وصلة بينك وبينه فى المعرفة لتزول الامور المختلفة وتجتمع الكلمة الشريفة وندخل فى قوله تعالى : «**ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم**» وفى قوله : « **تعاونوا على البر والنفوى** » وقال صلى الله عليه وسلم « المؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا » ، فنحن بذلك بعلاء وباثباتها حفلاء اذ معرفة أولاد الوسول لا تأتى الا بخير وهى فى الدنيا والآخرة جنة لدفع كل شر وضير اذ هم

---

16) أ. ح. ت. صندوق 78 ملف 929 ، وثيقة 33 ، لا تحمل تاريخا ، وفى أعلاها طابع صاحبها .



الشكل رقم 1 ـ رسالة الحسن بن عزوز الى حموده باشا حول ربط الصلات مع الامير عبد القادر .

أ. ح. ت. صندوق 78 ملف 929 . وثيقة رقم 33

بضعته (كذا) صلى الله عليه وسلم لا يحبهم الا مؤمن ولا يبغضهم الا منافق لا سيما من جمع منهم الشرف الظاهر والباطن وكان فى منازل المكـارم والمحاسـن نازلا وقاطن (كذا) ومعرفة أولاد الرسول لا تزيدك عند الله وعند عباده الا رفعا وتكسبك دفعا ونفعا والمعرفة بيت لان من تكون سرا أو علانية وما علمناك بهذا الا لكونك منا والينا وعلمنا بصدقك والظن الجميل بك ونعرفك تحب الايمان وترغب نصرة الدين والسلام وبأمر السيد الحسن بن عزوز خليفة أمير المؤمنين نصره الله أمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ·

نعم وانت كن فطينا لبيبا عاقلا وانظر عاقبة الامور من جانب الكفرة ولا تظن ودهم من جانب الحب بل من جانب المكر والخديعة لا غير وما شغلهم عنكم الا نحن ولولا نحن لرجعوا اليكم وها نحن مشغولون الا بهم وانت منا والينا والحب بيننا سابق ولاحق لا ينفك أبدا والسلام معاد عليكم ·

الوثيقـة الثانيـة :

رسالة الحسن بن عزوز الى حمودة باشا حول ربط العلاقات مع الامير عبد القادر

الحمد لله (17) وصلى الله على سيدنا محمد ·

حفظ الله تعالى بمنه وكرمه وعم بجوده واحسانه حضرة الاجل الوجيه الاقيـل الزاكى الاشمل المرعى برعاية الله عز وجل محبنا وصديقنا ونصيحنا (كذا) السيد حمده باى سلام الله عليك ورحمة الله وبركاته وتحيته ورضوانه ولا زايد عن حمد الله جلت قدرته وتقدست أسماؤه سوى الخير والعافية ونعمه الوافية المتوالية التى نطلب من الله دوامها وبقاءها علينا وعليكم وعلى جميع المسلمين أمين وبعد ان سألت عنا فترانا نحمد الله ونشكره ونحن فى هناء وعافية وعز وضفر (كذا) ونصر وسلامة ولـم يخصصنا من الخـير شيء ولتعلم أيها الصديق وأننا لما رد الايمان وقوى الكفر واضطربت أمواجه من كل ناحية وعفت صولته وشوقت المسلمون (كذا) الى الكفار

17) أ· ح· ت· صندوق 78 ، ملف 929 ، وثيقة رقم 34 ، لا تحمل تاريخا وعليها طابع صاحبها فى أعلاها ·



الشكل رقم 2 ـ رسالة الحسن بن عزوز الى حموده باشا حول ربط العلاقات مع الامير عبد القادر .

أ . ح . ت . صندوق 78 ملف 929 . وثيقة رقم 34

فخشينا الردة بجميع المسلمين وأن يعم الكفر الوطن فألجأنا الى أمير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر بن محيى الدين كما ركب نوح فى السفينة لا خشى غرقه من الطوفان لانه صاحب قوة فى الظاهر من قومان (كذا) وعصاكر (كذا) وصاحب ولاية فى الباطن وما هو الا رجل عدل تقى طاهر يصوم النهار ويقوم اليل منصف للحد ولو على نفسه لا تأخذه فى الله لومة لائم ونحن على سيرته ومتبعون لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وما قصدنا الا اصلاح الدين وجمع كلمة المسلمين وازالة العناد ودرء المناكر والفساد فنسل (كذا) الله سبحانه أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه ومحبتنا فيكم أن يشتموا (كذا) ان تكون ظاهرة أو باطنة لا بأس فى ذلك وها نحن كتبنا الى السيد أحمد باشه أجوبة فتناظر أنت واياه فى ذلك وأما حب النصارى لكم ومرادهم فهى مكر وخديعة وما قصدهم الا بعد امساكهم عمالة الجزائر يرجعون لكم . والسلام من المكتوب عن اذنه الواثق بالله ورسوله السيد الحسن خليفة مولانا نصره الله أمين أمين.

ومن جملة ما ذكرنا للسيد أحمد باشى (كذا) على ان يشتموا أن تكونوا انتم والسلطان السيد الحاج عبد القادر على رأى واحد ليقر الدين وتجتمع كلمة المسلمين .

ب ـ أحمد بلحاج (محمد الصغير بن عبد الرحمن) :

يعتبر محمد الصغير بن عبد الرحمن ، الخليفة الثانى للامير عبد القادر فى ولاية الزيبان والصحراء الشرقية . وكثيرا ما يدعى باسم أحمد بلحاج ، كما فى مذكرات الحاج أحمد باى . عينه الامير عبد القادر خليفة له فى مكان الحسن بن عزوز المعزول عام 1841 . ويبدو من الحوادث والرسائل التى عثرنا عليها ، أنه كان له نشاط وصلات مع الثوار والامير عبد القادر قبل هذا التاريخ كذلك .

وهو من واحة سيدى عقبة . وفى ربيع عام 1944 نظم هجوما ناجحا على مدينة بسكرة ، وحقق انتصارا ساحقا على الفرنسيين وأعوانهم ، وبقى يكافح تحت لواء الامير الى أن استسلم هذا الاخير عام 1847 ، فانتقل هو الى نفطة التونسية بالجريد واستقر بها . وعند ما نشبت أحداث واحة الزعاطشة أواخر عام 1849 ، قدم لنجدة الشيخ بوزيان وسكان الواحة . ثم عاد الى تونس ، وعندما

ظهر الشريف محمد بن عبد الله بحركته فى مطلع الخمسينات اشترك معه فى الهجوم على تقرت والاستيلاء عليها عام 1852 ، وعاد بعد ذلك الى توزر وتوفى بها عام 1856 ، حسب رواية فيرو (18) ، أما المرزوقى فذكر أنه هاجر الى المدينة المنورة وتوفى بها (19) فى حين بقى أبنه مصطفى يتردد على الامير عبد القادر بدمشق مدة من الزمن كما اشار الى ذلك الامير فى بعض رسائله • (20)

وخلال ولايته كخليفة للامير على ولاية الزيبان والصحراء الشرقية ، قام بنشاط واسع حربى ، وسياسى • فمن الناحية العسكرية حارب القوات الفرنسية وأعوانها ، والحاج أحمد باى واتباعه ، كما أورد ذلك الحاج أحمد فى مذكراته (21) • ومن الناحية السياسية اهتم بتدعيم سلطية الامير عبد القادر فى الناحية الشرقية ، وراسل الباى، والرسميين التونسيين ، وبعض الشخصيات الجزائرية ، وتحمس لربط الصـلات والعلاقات الحسنة بين الامير ، وبايات تونس •

وقد عثرنا على أربعة رسائل فى أرشيف الحكومة التونسية تبرز هذا النشـاط وتؤكده :

الاولى : وجهها الى مصطفى صاحب الطابع بمدينة سوسة ذكر له فيها : « وأنـه وجهنا السيد عبد القادر بن محيى الدين أنا عبد الله ورفيق معى من قربه الى سيدنا أحمد باشه وقدمنا الى سيدى محمد باى وقدمنا بعشرة من الخيل ذكور وبأيدينا زوج بشاطل وطقان ذهب أما من زوج من الخيل المذكورين الى سيادتك العالية ، وزوج كذلك الى سيدى محمد باى وستة الى السلطان أيده الله ونصره سيدنا أحمد باشا

---

18) Feraud : pp. 367 - 374 et 424.

19) محمد المرزوقى : صراع مع الحماية . (تونس ـ 1973) ص 244 ـ 245 و 255 • 260

20) أشار الى ذلك فى رسالته الى خير الدين الوزير التونسى بتاريخ 1 ربيع الثانى 1289 ، ورسالته الى مصطفى خزندار بتاريخ 25 ربيع الثانى 1289 • أنظر : أ• ح• ت• نفس المصدر • وثيقة رقم 64 ووثيقة رقم 65 •

21) مذكرات أحمد باى ، ص 91 ـ 96 •

والبشاطيل والطيقان مع الستة من الخيل » • وبما أن صاحب الطابع كان آنذاك بسوسة ، وهو بمدينة القيروان ، فقد طلب منه أن يشير عليه الى من يسلم الهدية ، وختم رسالته بقوله : « وباقى الكلام يحدثك عنه حامل البرية (الرسالة) » • (22)

الثانية : وجهها الى أحمد باشا نفسه بأمر من الامير عبد القادر ، على ما يظهر ، لانه قال فيها له : « فاننا كلفنا السيد الحاج عبد القادر بن محيى الدين أن أقدم الى حضرتك السعيدة الحميدة بحول الله وقوته ويريد حبك وقربك وأنت سلطان تونس يحتاج اليك القوي والضعيف وتكون بينك وبينه محبة ومودة • ووجه لك معنا حصان من جياد الخيل زيادة لك » • ويظهر أن هذه الرسالة كتبها له فى الطريق قبل أن يصل الى تونس حيث ذكر له فيها قائلا : « نريد من كريم فضلك وجزيل احسانك أن ترسل لنا خدامك يلاقونا بناحية الجريد أو قفصة لان الطريق لم تكن لنا فيها معرفة وأهلها كذلك لم يعرفنا » • (23)

الثالثة : وجهها الى المسمى ابراهيم بن عون قائد الناحية الشرقية أخبره فيها بانتصاره الكبير على القوات الفرنسية ببسكرة ، واستيلائه على كل ما عندها من مؤن، وذخائر ، وأسلحة ، وأسره لعدد من افرادها ، وختم رسالته بقوله : « وقد أخبرناكم بهذا لتأخذوا حظكم معنا بالفرح والسرور » • وأردف فى الاخير خبرا عن انتصار أولاد سلطان على الجيش الفرنسى الذى كان يقوده الدوق دومال ، والذى عبر عنه ونعته : « بولد الربى » ، وذلك خلال الغارات والهجمات الثلاثة ، « وانصرف مذموما مخذولا ولم ينل ما هم به » • (24)

---

22) أ• ح• ت• نفس المصدر ، وثيقة رقم 35 بدون تاريخ • ولكن صاحب التحفة أشار الى هذا فى أحداث عام 1834 بعد ابرام معاهدة دى ميشيل وقال : « ان الامير وجه خليفته على بسكرة والصحراء السيد محمد الصغير بن عبد الرحمن ومعه السيد محمد ابن كانون الى أحمد باشا باى تونس وأصحبهما بسيف مرصع بالجواهر وخيول بسروج مذهبة وآلة شاى من الذهب وغيرها » • وهذا التاريخ محل نظر لان محمد الصغير لم يصبح خليفة الا عام 1841 • أنظر : تحفة الزائر ، خ 1 ص 139 •

23) أ• ح• ت• نفس المصدر ، وثيقة رقم 36 بدون تاريخ • وذكرها صاحب التحفة فى أحداث عام 1834 ، وهو خطأ كما ذكرنا ، أنظر ج 1 ، ص 139 •

24) نفس المصدر ، صندوق 212 ، ملف 239 ، وثيقة رقم 19 بتاريخ 25 ربيع الثانى 1260 (20 أبريل 1844) •

ومعلوم أن محمد الصغير بن عبد الرحمن دبر مؤامرة ضد القوات الفرنسية فى بسكرة ، وشن عليها غارة ناجحة ليلتى 13 و 14 مارس 1844 ، أسر خلالها عشرة من الفرنسيين بينهم الطبيب أرسلان Arcelin ، والضابط تروشارد sous-lieutenant Trochard والطباخة Marie التى تزوجها وأنجبت له ولدين ، ذكر فيرو أنهما بقيا يعيشان مع أمهما بعد وفاته ، فى مدينة القيروان . (25)

الرابعة : وجهها الى شيخ الحنانشة محمد الحسناوى ، أحاطه علما فيها باحتماء بوعزيز بن قانة ، وعدد من سكان الصحراء ، بالقوات الفرنسية الغازية ، وبقيامه هو بمحاربتهم ومقاتلتهم لمدة أربعة شهور ، الى أن نال منهم وأجلاهم « من وطن السحرة » (كذا) فـ : « ذهبوا الى الرومى شاكين باكين مستنصرين به لا متعهم الله ولا بلغ لهم أملا لان من استنصر بغير الله لا أعانه الله » . واستطرد بعد ذلك عن أخبار الامير عبد القادر وقال : « وأما مولانا السيد الحاج عبد القادر نصره الله لا زال مقابلا لاعداء الله على سبعة مواضيع ومشتغلا بقتالهم ليلا ونهارا وقد أرسل اليك كتابا من ذو (كذا) زمان وهو عندى لانه حيث وصلنا وجدنا فى أشد الاشتغال بقتال المتنصرة دمرهم الله وها هو يصلك فى حفظ الله وأمنه » . ولم ينس أن يخبره بأن الامير على علم بأخباره وجهوده فى قتال النصارى ، وأنه عازم على التوجه الى هذه الناحية الشرقية ليتم اللقاء والتعارف ، ووضع الخطط المشتركة لمحاربة العدو المشترك . (26)

وفيما يلى نصوص الرسائل وأصولها تنشر هنا لاول مرة :

---

25) Feraud : pp. 367 - 374 et 423.

26) أ. ح. ت. صندوق 212 ، ملف 239 ، وثيقة رقم 37 بتاريخ 8 ربيع النبوى عام 1259 ، ويوافق ذلك أبريل أو ماى 1843 لان صاحب الرسالة لم يحدد هل هو ربيع الاول أو الثاني ، وان كانت كلمة النبوى ترجع الاول .

الوثيقة الثالثة :

رسالة محمد الصغير بن عبد الرحمن خليفة الامير عبد القادر الى مصطفى صاحب الطابع بتونس حول هدية من الامير عبد القادر الى كبار رجال الدولة التونسية

الحمد لله (27) وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم .

الى حضرة الفاضل الاكمل والسيد الامجد الاجل الوجيه الطالع الاسعد المرعى برعاية الله عز وجل الامير الاوفى سيدى مصطفى صاحب الطابع أيدك الله وأصلح حالك أمين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وتحيته ورضوانه ولا زايد بعد حمد الله سوى الخير والعافية عن الجميع أمين وبعد نعم السيد نخبرك ان شاء الله وأنه وجهنا السيد عبد القادر بن محيى الدين أنا عبد الله ورفيق معى من قربه الى سيدنا أحمد باشه وقدمنا الى سيادتك بجواب من عنده وجواب الى سيدى محمد باى وقدمنا بعشرة من الخيل ذكور وبأيدينا زوج بشاطل وطقان ذهب أما من زوج من الخيل المذكورين الى سيادتك العالية وزوج كذلك الى سيدى محمد باى ، وستة الى السلطان أيده الله ونصره سيدنا أحمد باشا والبشاطيل والطقان مع الستة من الخيل ونحن سيدنا فارحين الى لقايك كثيرا لما سمعنا عنك من ثناء الحى والصلاح وأنت بصيرة وطن فريقية واليوم سمعنا بيك (كذا) فى سوسة وكادنا الحال نقدموا الى سوسة الى حضرة العالية بلى (كذا) شورتك فهانا مقيمين بمدينة القروان وأخبرناك سيدنا بأحوالنا وأنت تخبرنا بما عندك فى قسمة الخيل والا أين نقصدوا والا باش نتكلموا وأنت سيدنا بصيرتنا وبما تأمرنا نفعل وكما قال صلى الله عليه وسلم : لا خاب من استجار ولا ندم من استشر (كذا) وباقى الكلام يحدثك به حامل البرية والسلام من أسير ذنبه وأفقر خلق الى مولاه غلام أولياء الله عبده محمد الصغير بن عبد الرحمن حاكم بلدة سيدنا عقبة نفعنا الله واياك ببركاته أمين أمين .

---

27) نفس المصدر ، صندوق 78 ، ملف 929 ، وثيقة رقم 35 بدون تاريخ ، وذكر صاحب التحفة خبرا عنها فى أحداث عام 1834 ، ولكن ذلك محل نظر كما مر .



الشكل رقم 3 ــ رسالة محمد الصغير بن عبد الرحمن الى مصطفى صاحب الطابع حول هدية الامير عبد القادر اليه ٠

أ٠ ح٠ ت٠ صندوق 78 ملف 929 ٠ وثيقة رقم 35

الوثيقـة الرابعـة :

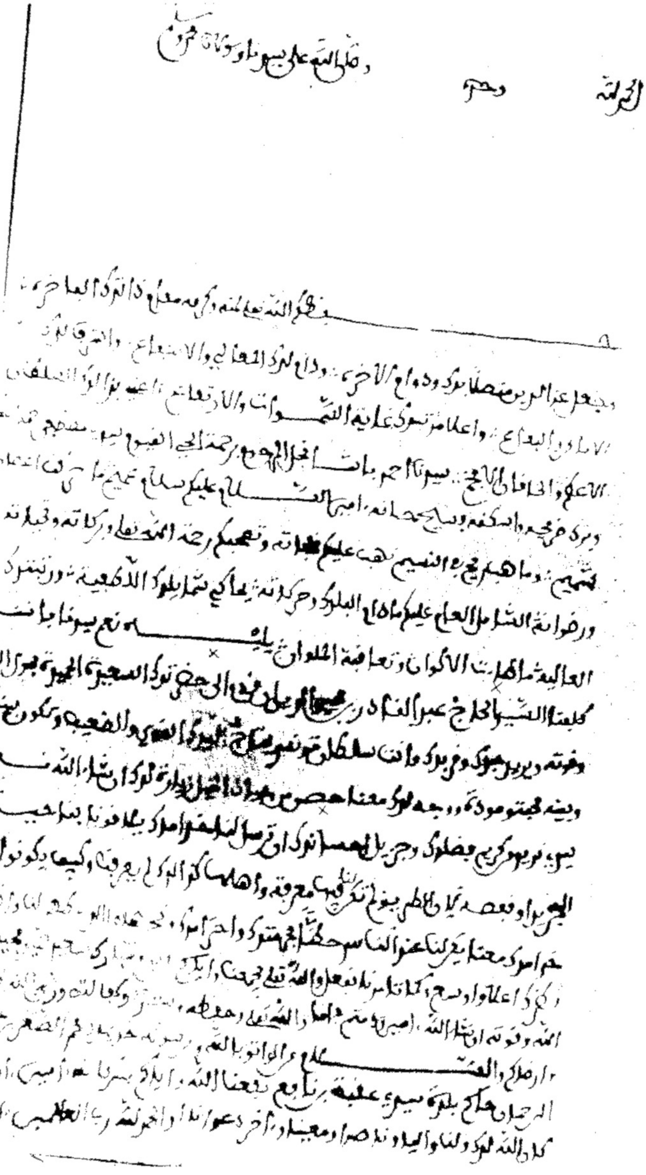
رسالة محمد الصغير بن عبد الرحمن الى أحمد باشا حول رسالة وهدية من الامير

الحمد لله (28) وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وسلم ·

حفظكم الله تعالى بمنه وكرمه مقام ذاتك الفاخرة وجعل عز الدين متصلا بك ودوام الاخرة · ودام لك المعالى والانتفاع وأشرف بك الاماكن والبقاع وأعلى مرتبتك غاية السموات والارتفاع ، أعنى بذلك السلطان الاعظم والخاقان الافخم سيدنا أحمد باشا نجل المرحوم برحمة الحي القيوم سيدى مصطفى رحمه الله وبرك ضريحه وأسكنه فسيح جنانه أمين ، السلام عليكم سلام ما حركت أغصان شميم وما هب ريح فى النعيم تهب عليكم نفحاته وتصحبكم رحمة الله تعالى وبركاته وتحياته ورضوانه الشامل العام عليكم ما دام الفلك وحركاته يحاكى شمايلك اللطيفة ورتبتك العالية ما ضاءت الاكوان وتعاقبت الملوان يليه نعم سيدنا فاننا كلفنا السيد الحاج عبد القادر بن محيى الدين أن أقدم الى حضرتك السعيدة الحميدة بحول الله وقوته ويريد حبك وقربك وأنت سلطان تونس يحتاج اليك القوى والضعيف وتكون بينك وبينه محبة ومودة ووجه لك معنا حصان من جياد الخيل زيارة لك ان شاء الله نعم سيدى نريد من كريم فضلك وجزيل احسانك أن ترسل لنا خدامك يلاقونا بناحية الجريد أو قفصة لان الطريق لم تكن لنا فيها معرفة وأهلها كذلك لم يعرفنا وكيف يكونوا خدامك معنا يكن لنا عند الناس حظا بحرمتك واحترامك · ونحن هذا الذى ظهر لنا وأنت نظرك أعلا (كذا) أوسع وكما تأمرنا نفعل والله تعالى يجمعنا وأياكم فى يوم مبارك سعيد حميد مجيد بحول الله وقوته ان شاء الله أمين ودمتم فى أمان الله والسلام من الواثق بالله وبرسوله خديمك محمد الصغير بن عبد الرحمن حاكم بلدة سيدى عقبة ابن نافع نفعنا الله وأياكم ببركاته أمين أمين أمين كان الله لك ولنا ناصرا ومعينا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين أمين ·

---

28) نفس المصدر ، وثيقة رقم 36 بدون تاريخ · والتاريخ الذى أورده صاحب تحفة الزائر لفحوى أحداثها محل نظر كما سبق ·


الحمد لله وحده
وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

الشكل رقم 4 ـ رسالة محمد الصغير بن عبد الرحمن الى أحمد باشا حول رسالة وهدية الامير عبد القادر اليه .
أ. ح. ت. صندوق 78 ملف 929 . وثيقة رقم 36

الوثيقة الخامسة :

رسالة محمد الصغير بن عبد الرحمن الى ابراهيم بن عون حول احداث بسكرة والحاج أحمد باى

الحمد لله وحده (29) صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ·

الفاضل الأود الكامل الارشد ذو الشيم الزكية والاخلاق المرضية السيد ابراهيم بن عون قايد النواحى الشرقية وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد اعلامكم خيرا ان شاء الله وأننا هجمنا على عسكر عدو الله الذى تركه بقصبة بسكرة ومكننا الله منهم وظفرنا بجميع الخزنة من مدافع وسلاح وكور وبارود وأما الاطعمة من بروشعير وروز وأنواع الخبز لا تحمله ذوات الاربع ولا يحصى عدده الا الله ومسكنا علجة (كذا) ونحو الستون (كذا) فرصا وقتلنا القباطين وأما بقية عسكر كله بقى لنا والحمد لله ذلك من فضل الله علينا والله ينصر دين الاسلام وقد أخبرناكم بهاذا لتأخذوا حظكم معنا بالفرح والسرور والسلام من الفقير لربه عبده محمد الصغير بن عبد الرحمن الخليفة نصره الله أمين فى 25 ربيع الثانى سنة 1260 · (30)

الحاق خيرا وعافية وكذلك ولد الربى (31) لعنه الله قصد الى جبل أولاد سلطان فقاتلوه قتالا عظيما فهزموه وأخذوا بعضى محلته ثم رجع لهم ثانيا وثالثا فهزموه أيضا وأنصرف مذموما مخذولا ولم ينل ما هم به والسلام ·

الوثيقة السادسة :

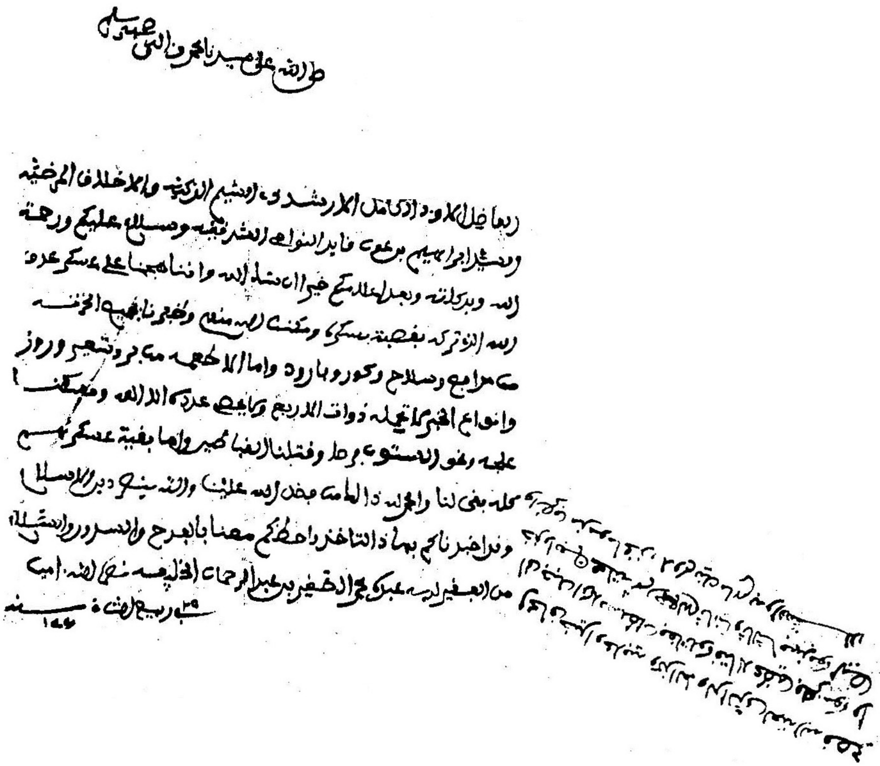
رسالة محمد الصغير بن عبد الرحمن الى محمد الحسناوى شيخ الحنانشة حول رسالة موجهة اليه من الامير عبد القادر

الحمد لله وحده (27) وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وسلم ·

29) أ· ح· ت· صندوق 212 ملف 239 وثيقة رقم 19 ·

30) الموافق حوالى 20 ابريل 1844 · وحوادث بسكرة حصلت ليلتى 13 و 14 مارس 1844 . كما أشار الى ذلك فيرو حسبما مر .

31) يعنى بولد الربى الدوق دومال ابن الملك الفرنسى لويس فيليب الذى كان فى هذه الفترة حاكما عسكريا على أقليم قسنطينة ·



الشكل رقم 5 ــ رسالة محمد الصغير بن عبد الرحمن الى ابراهيم بن عون حول احداث بسكرة والحاج أحمد باي ٠

أ٠ ح٠ ت٠ صندوق 212 ملف 239 ٠ وثيقة رقم 19

حفظكم الله حفظ الاحباب وأنالكم من فضله جميع الآراب وسقى أرض قلوبكم من مياه عين الرحمة الازلية شراب تنشق منه أرواحكم الزكية ، حضرة الاجل الاجمل الكامل الافضل ذى الشيم الزكية والاخلاق المرضية غاية ودنا وأحضى أمالنا السيد محمد الحسناوى شيخ الحنانشة لا زالت مفاخره تزيد وأسبابه بالله لا تنقطع ولا تبيد السلام الكريم الطيب العميم كلما أهدى الروض شذاه مع رسول النسيم ورحمة الله تعالى وبركاته عليكم هاذا وأنا نسئل عن كلية أحوالكم فان كنتم بخير فقربه . وبعد اعلامكم خيرا ان شاء الله وأن عدو الله بوعزيز (28) انحدر من التل واجتمع معه أتباعه وهم السلمى ودحمان وأولاد بزيد وأولاد زيد وأولاد ملات وكذلك السحارى وأهل بن على وعمر والشرفة وأولاد بوحديجة والاخضر وكذالك رعية بن جلاب أهل تقرت وأولاد جلال ، كل هؤلاء أحتوت على عدو الله وباقين متوجهون (كذا) معه حيث توجه ولم يفارقوه لانهم كلهم مايلين (كذا) لاهل حزب الكافر ويخشون أن من أفترق منهم نأخذوه فبقوا على حالهم كما ذكرنا فكان مدة أربعة أشهر والقتال بيننا بل الغارات والغزوات فغزونا عليهم نحو المرتين أو الثلاث فمكننا الله من فرقة من السحارى فأخذناهم وسبيناهم ووقع بيننا وبينهم معركتان عظيمتان فهزمهم الله ونصرنا عليهم وجلوناهم من وطن السحره بحيث لم تبقى (كذا) منهم بيت واحدة وقد ذهبوا الى الرومى شاكيين باكيين مستنصرين به لا متعهم الله ولا بلغ لهم أملا لان من أستنصر بغير الله لا أعانه الله وأما مولانا السيد الحاج عبد القادر نصره الله لا زال مقابلا لاعداء الله على سبعة مواضع ومشتغلا بقتالهم ليلا ونهارا وقد أرسل اليك كتابا من ذو زمان وهو عندنا لانه حيث وصلنا وجدنا فى أشد الاشتغال بقتال المتنصرة دمرهم الله ، وها هو يصلك فى حفظ الله وأمنه ونحن قد أخبرنا مولانا نصره الله بخصالك ونصحك فى الدين وحبك فيه فصرت عنده بالمنزلة الرفيعة كأنك من خواصه ودعيا الله لك بالنصر والتمكين ، وقد أخبرنا نصره الله بتوجه المحلة الى نواحينا ، وحيث

32) أ. ح. ت. صندوق 212 ملف 239 وثيقة رقم 37 .

33) يعني به ، بو عزيز بن قانة الذى عينه الفرنسيون فى منصب شيخ العرب بهذه المنطقة منذ أواخر الثلاثينات حوالى عام 1838 .


وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

الشكل رقم 6 ـ رسالة محمد الصغير بن عبد الرحمن الى محمد الحسناوى حول رسالة موجهة اليه من الامير عبد القادر .

أ . ح . ت . صندوق 212 ملف 239 . وثيقة رقم 37

تبلغنا ان شاء الله نخبرك أنت لتكون على هيبة (كذا) ونحن هانا راغبين في قدوم السلطان بنفسه كي نجتمعوا جميعا وتكون الملاقات بينك وبينه لانه وعدنا بذلك بعد تفرغه من الشواغل نصره الله أمين والسلام من فقير ربه محمد الصغير أيده الله أمين · وثم السلام التام والتحية والاكرام على أولاد دايرتك وجميع من حوته حضرتكم الزكية ممن ذكر أعلاه وفقه الله لما يحبه ويرضاه أمين · في 8 ربيع النبوى سنة 1359 هـ·(34)

ج ـ الشيخ محمد الحسناوى بن بلقاسم الحنانشى :

كان الشيخ محمد الحسناوى في صدر الاحتلال الفرنسى ، يعمل مع السلطات الفرنسية كواسطة بينها وبين السكان في منطقة جبال الاوراس ، والنمامشة ، التى تمتد الى جبال تبسة ، والظهر التونسى · غير أنه سرعان ما انفصل عن هذه السلطات ، وانضم الى صفوف الثوار والمعارضين للاحتلال الفرنسي كما سيتضح ذلك في رسالة الحاكم العسكرى الفرنسى لعمالة قسنطينة ، الى كاهية الكاف بتونس ·

وقد أورد الحاج أحمد باى في مذكراته بعض الاخبار عن عائلة الحسناوى تشعر بعمل هذا الرجل ، أو بعض أقاربه معه · وحكى ذلك في معرض حديثه عن المتاعب والمؤامرات التى كان يحيكها ضده صهره بوعزيز بن قانة ، وقال : « أما بوعزيز ··· لقد كان يريد الاجهاز على ليأخذ ما كنت أملك ··· ثم انى كنت رفضت في ذلك الوقت أن أنزل عند طلبانه والسبب في ذلك هو ما يلي : كان عم الحسناوى في القديم هو شيخ قبيلة الحنانشة التى كنت مقيما عندها ، ولانه حاك مؤامرات ضدى حكم عليه بالاعدام واستبدل برزقي الذى أبدى لي كثيرا من الاخلاص · ولارضاء أسرة الحسناوى عينت هذا الاخير كاتبا للشيخ ولكن حقده اضطره الى التنازل عن منصبه فلجأ الى تونس أولا ثم ذهب الى يوسف في عنابة دون أن يقطع اطلاقا الرباط بيني وبينه ، وذات يوم طلب من بوعزيز أن يعينه شيخا على الحنانشة في مكان رزقى · ولهذا الغرض قدم لى مبلغا كبيرا من المال وعلى الفور أستجاب بوعزيز الى الطلب وجاء يرجونى

34) الموافق حوالى أبريل أو ماى 1843 لان صاحب الرسالة لم يحدد هل هو ربيع الاول أو الثانى ، ولكن كلمة النبوى ترجح الاول ·

أن أقوم بهذا التبديل . ولكنني قلت له كيف أثق في عدوي ، وكيف تريدني أن أخلع رزقي وكان دائما مخلصا لي ، ان ما تشير به علي ليس من العدل في شيء ، وقاومت طويلا غير أني كنت في ذلك الوقت تقريبا تحت رحمة بوعزيز فاضطررت الى القبول ، فعين الحسناوي وابتعد رزقي عني ، لكنه عند ما علم بسبب عزله قصد بن قانة بدوره ووعده بالمال ان هو أرجعه الى منصبه ، وخوفا من أن أشك في تصرفاته قال له ، اذهب الى الباي أحمد واقترح عليه ان يتخلص من الحسناوي ويأمر بقتله ثم يعين صهرك محمد بن علي شيخا على الحنانشة وسأكون كاتبا له ومستشارا . لم يتردد بوعزيز أمام هذا الاقتراح وجاء يطلب مني تحقيق المشروع . انني استنكرت عليه ذلك بشدة وقلت له كيف تشفع في عدوي وتعمل على تنصيبه ثم تأتيني اليوم تطلب قتله وأنت تعلم أنه نزل ضيفا علينا واستقبلته في خيمتي . واذا كنت قد عاقبت من خانني فانني لم أخن أحدا ، واغتاظ بوعزيز لهذه الاجابة وأشار على القوم بأن يغزوا زاوية عبد الكريم ليعزلني عن سلطان تونس . ولما انتبه غادرني ورجع الى الصحراء أما أنا فقصدت الحراكته ، ومنذ ذلك الوقت استسلم بوعزيز للفرنسيين . (35)

وقد عثرنا في أرشيف تونس على ثلاثة رسائل :

الاولى : للحاكم العسكري الفرنسي بقسنطينة ، وجهها الى كاهية الكاف بتونس الصالح بن محمد ، ذكره فيها بأمر الرسالة التي وجهها اليه سابقا بتاريخ 7 جوان 1843 ، ثم قال له : « ان الشيخ محمد الحسناوي بعد ما خدم الدولة الفرنصاوية كجملة المشايخ وكبار الوطن فانه بن عدم وقلت (كذا) الرأي نافق وخرج عن الطاعة ولزمنا بالخروج اليه لنعاقبه » . وبما أن الحسناوي بعد لجوئه الى تونس طلب على ما يظهر العفو والامان والاذن بالعودة الى الجزائر ، فان الحاكم الفرنسي كلف الكاهية أن يبلغه شروطه التي تتلخص في تقديم نفسه عاجلا الى المحلة العسكرية الفرنسية ، وتقديم الرهائن الذين يضمنون ولاءه مستقبلا للسلطات الفرنسية ، والا « فما له الا أن يبقى بوطن تونس » ، وحذر الحاكم الفرنسي ، الكاهية فيما اذا عاد الحسناوي

35) مذكرات أحمد باي ، ص 84 ـ 86 و 119 .

خفية الى الجزائر ، وجدد النشاط الثورى ، بقيام القوات الفرنسية بغزو بلاد تونس : « فحينئذ راك (كذا) تلزمنا نتبعوه حتى لوطن السعادة المذكور • واذا بعد ذلك الفتنة طلبت الدولة الفرنصاوية الفتن مع سعادة السيد أحمد باى عمالة التونسية فراك (كذا) تعلم عواقب ذلك لسيدك ولك » • واستدرك فى الاخير قائلا : « ثم رانا (كذا) أخبرنا بذلك سعادته بواسطة حضرة قونصول (كذا) دولتنا ببلد تونس »•(36)

الثانية : للشيخ محمد الحسناوى نفسه أرسلها الى أحمد باشا باى تونس أخبره فيها بلجوئه الى تونس « وطن الاسلام » بعد « دخول الفرنصيص الى بلادنا » وبأى « باقية النجوع كافة فى أوراس الى حدنا » • وأوضح له قائلا : « ونحن ولو صبنا (كذا) ربع آلة حرب والله لا صاب بلادنا ••• فان كان اعتمادنا على الله ثم على السيادة لازلنا نضربوا ونحاربوا ولا نرجعوا (كذا) على طرد الرومى حتى نردوا على دبايب السيوف » • وفى الاخير وسطه راجيا بقوله : « اجعل لنا باب مع الفرانصيص على نظرك » • (37)

الثالثة : للحسناوى كذلك وجهها الى كاهية الكاف صالح بن محمد ، حدثه فيها على معارك الحاج أحمد باى ، والامير عبد القادر ، ضد الاعداء • وبدا فيها شغوفا بالاطلاع على أخبارهما لدرجة أنه كلف رسلا باستقصائها وقال : « فان التراسة (كذا) الذين بعثناهم الى الغرب قدموا وحكوا لنا كسرة الرومى دمره الله ونحن فى ذلك الحال واذا به قدم حاج حسين صاحب الحاج باى الذى كان سابقا يسير فيه الى بر الترك فحكى لنا سورة (كذا) الواقع كما انزل • حكى لنا عن المحلت (كذا) الذى أخذها الحاج أحمد باى وأولاد سلطان وأخذ لهم المدافع وغيرهم » • وأخذ بعد ذلك يشرح له كيف انهزمت القوات الفرنسية ثلاث مرات أمام الحاج أحمد وأولاد سلطان ،

36) أ• ح• ت• صندوق 212 ملف 239 وثيقة رقم 20 بتاريخ 14 يونيو 1259 (1843) وقد اخطأ الكاتب فوضع السنة الهجرية بدلا من المسيحية التى وضعناها نحن بين قوسين استنادا الى الاحداث التى حصلت خلال هذه الفترة •

37) نفس المصدر ، وثيقة رقم 8 بدون تاريخ ولكن الاحداث التى وردت فيها حصلت خلال عامى 1843 و 1844 • وهو التاريخ الذى ذكره الحاكم الفرنسى فى رسالته الى كاهية الكاف •

وعدد له ما غنمه الثوار منها ، وفى الاخير استدرك خبرا عن الامير عبد القادر يفيد بأنه عاد الى الجزائر واسترجع مليانة من الفرنسيين · (38)

وقد أشار الحاج أحمد باى فى مذكراته الى أحداث أولاد سلطان (39) ، كما اشار لها بلقاسم بن عبد الكريم القسنطينى فى رسالة خاصة وطويلة وجهها الى كاهيـــة الكــــاف بتونس · (40)

وفيما يلى نصوص وأصول هذه الرسائل تنشر لاول مرة :

الوثيقـة السابعـة :

رسالة الحاكم العسكرى الفرنسى بقسنطينة الى كاهية الكاف حول الشيخ محمد الحسناوى

الحمد لله العظيم المتعال (41) جل جلاله فى كافة الاجيال وجعل أفضل العقل فى رؤوس الرجال ·

حفظ الله تعالى بمنه وكرمه المكرم الامثل الزكى الاشمل المرعى المبجل السيد الصالح محمد كهية الكاف أكرمه الله أمين السلام عليكم والرحمة والبركة · وبعد السؤال عنكم يليه اعلامكم أنى رسلت لكم جواب فى تاريخ 7 من شهرنا هذا صحبة خدام الشيخ محمد الحسناوى وكان طيه كتاب اليه واليوم ربما ذلك الجواب لم يبلغ ليديكم فيجب علينا ثانيا نخبركم بما كتبنا ذلك فى ذهنكم وما تقولون أنا لم أعلمناكم بمرادنا فعند ذلك نصير بارى من كل شىء أمام دولتنا العظيمة ونجعل الامر فى رقبتكم أعنى عواقب ما يتوقع والحال أنا أخبرناكم ان الشيخ محمد الحسناوى بعد ما خدم

38) نفس المصدر ، وثيقة رقم 24 بدون تاريخ ، ولكن حوادثها حصلت فى ربيع عام 1844 (مارس وأبريل) ·
39) مذكرات أحمد باى ، ص 92 ـ 94 ·
40) أ· ح· ت· صندوق 78 ملف 929 وثيقة رقم 45 بدون تاريخ ، ولكن حوادثها حصلت فى ربيع عام 1844 (مارس وأبريل) ·
41) أ· ح· ت· صندوق 212 ملف 239 وثيقة رقم 20 ·

الدولة الفرنصاوية كجملة المشايخ وكبار الوطن فانه من عدم وقلت (كذا) الرأى نافق وخرج عن الطاعة ولزمنا بالخروج اليه لنعاقبوه ففى يوم واحد بطل أمره وخدمت الاعراش وفر هو هاربا ودخل تراب سعادة المعظم السيد أحمد باى عمالة التونسية سيدك ليمنع نفسه وماله ورزقه واليوم فها هو يطلب منا الامان ولكنه فليس هو عندنا ولا نحسبوه شيخ الحنانشة والحال لا نقدر نعطيه الامان الا لتخصيص نفسه فاذا قبل هذا فالمراد منكم تدفعوا له الكتاب الذى داخل هذا وأعلموه أن الواجب عليه قبل كل حاجة يقدم عزما لمحلتنا ويعطينا المراهين ليظمنونا بخدمته الاتية فاذا رضى تلك الشروط فما عليه الا الامان التام واذا أبا فما له الا أن يبقى بوطن تونس ونرضى ذلك ولكنه فاذا كان الامر كذلك لابد تفهم طرقتك ولا تأذنه أصلا بالرجوع لوطننا لان اذا راك لم تحق بمراد وبصلاح سيدك وتأذن تلك الشيخ المنافق بالرجوع الى وطن قسنطينة ليجعل به الفساد فحينيد راك تلزمنا نتبعوه حتى لوطن السعادة المذكور واذا بعد ذلك الفتنة طلبت الدولة الفرنصاوية الفتن مع سعادة السيد أحمد باى عمالة التونسية فراك تعلم عواقب ذلك لسيدك ولك ثم رانا أخبرنا بذلك سعادته بواسطة حضرة قونصول دولتنا ببلد تونس وفيه كفاية ودمتم بخير وعافلة والسلام كتب بأمر سعادة المعظم الارفع الهمام الانفع سيدنا الجلنار باراكيد يليه حاكم الجيوش الفرنصاوية بقسنطينة وعنابة وسطيف نصره الرب اللطيف أمين فى 14 ينيه سنة 1259 · (42)

ولابد تردوا لنا جواب هذا الكتاب ·

---

42) 14 يونيو 1843 م يوافق 17 جمادى الاولى عام 1259 هـ · وقد اخطأ صاحب الرسالة على ما يظهر عندما أردف تاريخ الشهر المسيحى بالسنة الهجرية ·


اسمه تعالى بجده وكرمه المكرم الامثل الازكى الانبل
المرعي الجليل السيد الحاج بن محمد كاهية الكاف
اكرم الله اوليس السلام عليكم ورحمة الله والبركة وبعد السؤال
عنكم يليه اعلامكم انى رسلت لكم جوابا بتاريخ ٧ من شهرنا
هذا في شأن الشيخ محمد الحسناوي وكان طيه كتاب اليه واليوم
بلغنا ان ذلك الجواب لم يصل ليديكم ويجب علينا ثانيا نخبركم
بما كتبنا لكم ليصير ذلك في علمكم وما تقولون انا لم
اعلمناكم بمرادنا بعد ذلك نصير بريء من كل شيء امام دولتنا
المعظمة ونجعل الامر بينكم اعني عواقب ما يتوقع والحال
انا اخبرناكم ان الشيخ محمد الحسناوي بعدما خدم الدولة الفرنساوية
كجملة المشايخ وكبار الوطن بان منه عدم وقلة الراي ناقض
وخرج عن الطاعة ولزمنا بالخروج اليه لنعاقبوه فبقى يوم واحد
بطول امره وخرج من الاعراش وبرهو هاربا ودخل تراب
سعادة المعظم السيد احمد باي عمالة التونسية سيدك ليمنع
نفسه وماله ورزقه واليوم جاءه وطلب منا الامان ولكنه
فليس هو عندنا ولا نحسبوه شيء ... والحال لا نعطوه
الامان الا تخصيص لنفسه وانا قد رمنا بالمراد منكم تعطوه
له الكتاب الذي ... واعلموه ان الواجب عليه ...
حاجة يفهم عزمة لمحلتنا ويعطينا الرهائن ليضمنونا خدمته
الاتية فاذا رضي بتلك الشروط فاعطيه الامان انتم واذا ابى
فما له الا يبقى بوطن تونس ونريد ذلك ولكنه فاذا
كان الامر كذلك لابد نفهم طرقه وما ناذنه اصلا بالرجوع
لوطننا لان اذا راه لم نخرج بمراد وسلام ... وناذن
تلك الشيخ المنافق بالرجوع الى وطن قسنطينة ليحصل
به الفساد ... راحة للرعية حتى لرضى السعادة

الشكل رقم 7 ــ رسالة الحاكم العسكرى الفرنسى بقسنطينة الى كاهية الكاف حول الشيخ الحسناوى ·

أ· ح· ت· صندوق 212 ملف 239 · وثيقة رقم 20

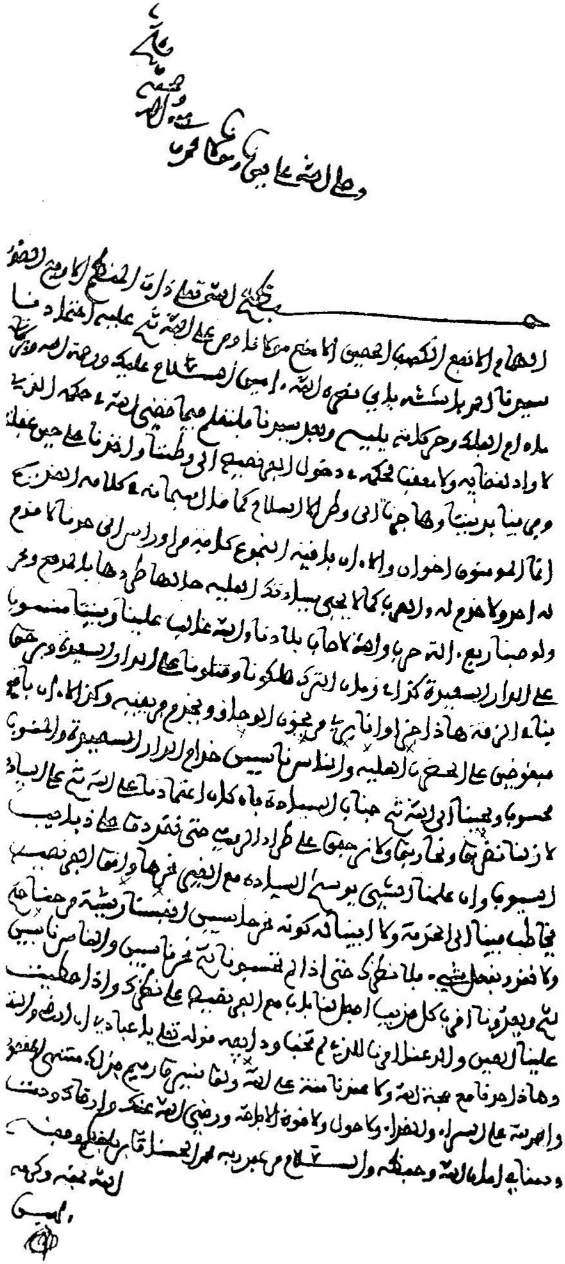
الوثيقـة الثامنـة :

رسالة محمد الحسناوى بن بلقاسم الى أحمد باشا باى تونس حول لجوئه الى تونس هو ورفاقه

الحمد لله (43) وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ·

حفظكم الله تعالى ذات المعظم الارفع الطود الهمام الانفع الكهف الحصين الامنـع مولانا ومن على الله ثم عليه أعتمادنا سيدنا أحمد باشه باى نصره الله أمين السلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته ما دام الفلك وحركاته يليه وبعد سيدنا فلتعلم فيما قضى الله فى حكمه الذى لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه فى دخول الفرنصيص الى وطننا وأخذنا على حين عفلة وفرينا (كذا) بدينيا وهاجرنا الى وطن الاسلام كما قال تعالى فى كلامه العزيز : « **انما المؤمنون أخوان** » (كذا) · والآن باقية النجوع كافة فى أوراس الى حدنا لا قدم له أجلا ولا خدم له والعرب كما لا يخفى سيادتك العلية حالها طردها بالمدفع ونحن ولو صبنا ربع آلة حرب والله لا صاب بلادنا والله غالب علينا وبيتنا منسوب على الدار السعيدة (كذا) فى زمان الترك هلكونا وقتلونا على الدار السعيدة وبرحوا بنا فى الزقه هاذا خير وانا برىء من يخون الوجاق ويخدم فريقية وكذا الآن باقون مبغوضين على الحضرة العلية والناس ناسبين خدام الدار السعيدة والمنسوب محسوب ويحبنا الى الله ثم جناب السيادة فان كان اعتمادنا على الله ثم على السيادة لازلنا نضربوا ونحاربوا ولا نرجعوا على طرد الرومى حتى تردوا على دبايب السيوف وان علمنا الشىء يوسخ السيادة مع الغير نحن ما واقفوا الفرانصيص يخاطب فينا الى الخدمة ولا أبينا له كونه نحن حابسين أنفسنا ريشة من مناحكم ولا نقدر نفعل شىء بلا نظرك حتى ان لم تحسبونا لكم نحن ناسبين والناس ناسبين لكم ويعدونا أقرب كل قريب أجعل لنا باب مع الفرنصيص على نظرك واذا حطيت علينا العين ودعنا أمرنا للذى لم تخفا ودائعه قوله تعالى : « **يا عبادى ان أرضى واسعة** » وهاذا حدنا مع محبـــة الله

43) أ· ح· ت· صندوق 212 ملف 239 وثيقة رقم 8 بدون تاريخ · وفيها كثير من الالف ظ والكلمات العامية ولكنها مفهومة ·



الشكل رقم 8 ـ رسالة محمد الحسناوى الى أحمد باشا باى تونس حول لجوئه الى هناك
أ٠ ح٠ ت٠ صندوق 212 ملف 239 ٠ وثيقة رقم 8

ولا عندنا منة على الله ولكى نبين ما رميتم فذلك منتهى المقصود والحمد لله على السراء والضراء ولا حول ولا قوة الا بالله ورضى الله عنك وأرضاك ودمت ودمنا فى ..ـان الله وحفظه والسلام من عبد ربه محمد الحسناوى بن بلقاسم وفقه الله بمنه وكرمه آمين.

الوثيقـة التاسعـة :

رسالة محمد الحسناوى بن بلقاسم الى صالح بن محمد الامين كاهية تونس حول أحداث الحاج أحمد باى والامير عبد القادر

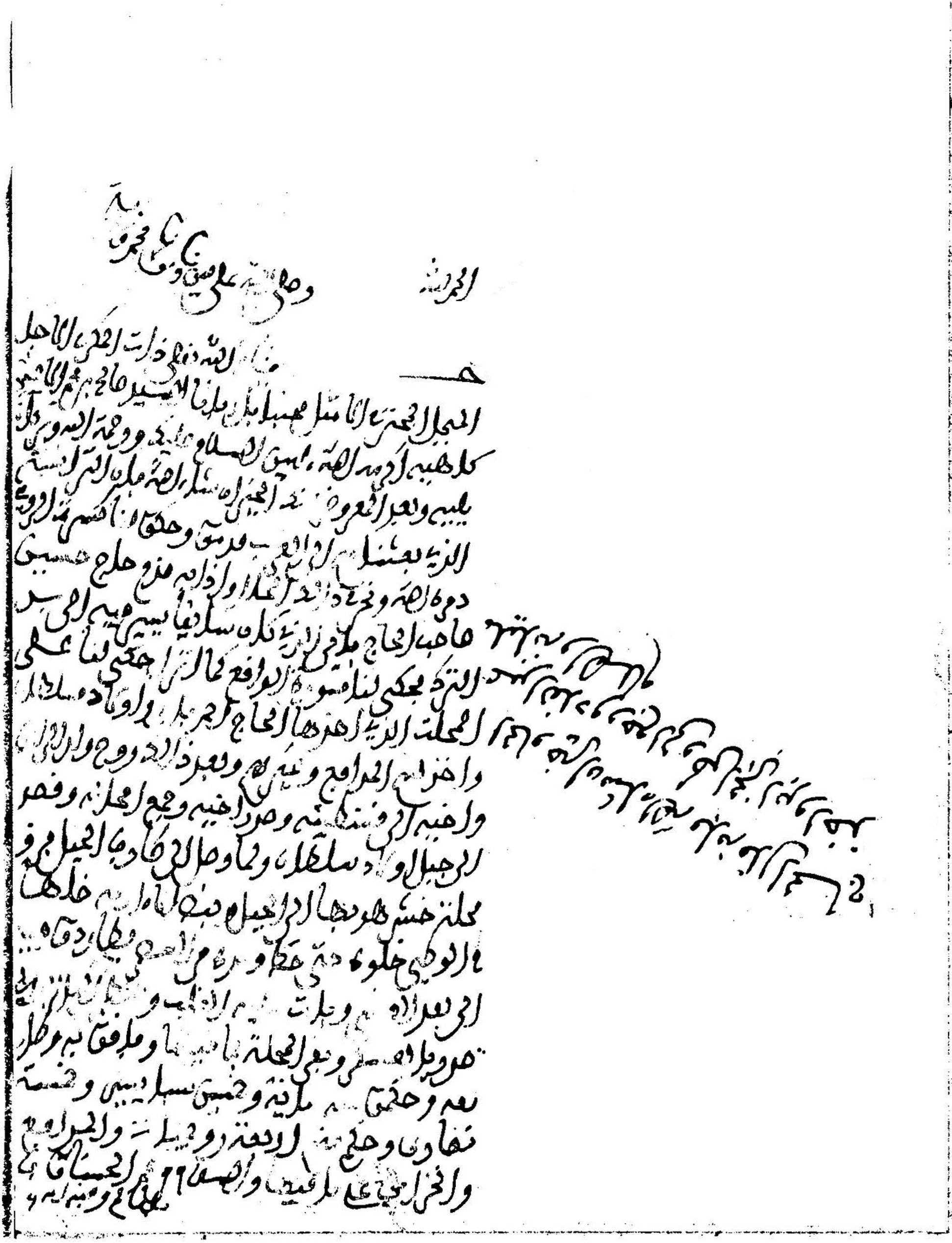
الحمد لله (39) وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وسلم .

حفظ الله تعالى ذات المكرم الاجل المبجل المحترم الامثل محبنا بل أبانا (كذا) السيد صالح بن محمد الامين كاهية أكرمه الله أمين السلام عليك ورحمة الله وبركاته يليه وبعد المعروض عنك الخير ان شاء الله فان التراسه (كذا) الذى بعثناهم الى الغرب قدموا وحكوا لنا كسرة الرومى دمره الله ونحن فى ذالك الحال واذا به قدم حاج حسين صاحب الحاج باى الذى كان سابقا يسير فيه الى بر الترك فحكى لنا سورة الواقع كما أنزل حكى لنا على المحلت (كذا) الذى اخذها الحاج أحمد باى وأولاد سلطان وأخذ لهم المدافع وغيرهم وبعد ذلك روح (كذا) وأخيه الى قسنطينة وحذر أخيه (كذا) وجمع امحاله وقصد الى جبل أولاد سلطان ولما وصل الى طارث (كذا) الجبل فرق محلة حشرد هو بها الى الجبل وبعض (420000) خلها (كذا) فى الوطى (كذا) خلوه حتى حط وبره من العصر يطاردوا فيه الى بعد العشى (كذا) وبات عليه القلب وشطر الليل الربى حدر (كذا) بالعسكر وبقى المحلة بما فيها وفاقوا (كذا) به وطاردوا معه وحكموا منه مائة وخمسين سبايسى وخمسة نصارى وحكم منهم أربعة روميات والمدافع والجرابى على ما فيها والسلام من محمد الحسناوى بن بلقاسم وفقه الله .

---

44) نفس المصدر ، وثيقة رقم 24 بدون تاريخ ولكن الحوادث التى تحدثت عنها الرسالة حصلت خلال شهر مارس أو أبريل 1844 م وهى مكتوبة كما يلاحظ بلهجة عامية.

45) كلمة غير مقروؤة .



الشكل رقم 9 ــ رسالة محمد الحسناوى الى صالح بن محمد الامير كاهية الكاف حول احداث الحاج أحمد باى والامير عبد القادر ·

أ · ح · ت · صندوق 212 ملف 239 · وثيقة رقم 24

الحاق خير ان شاء الله فانه قال الحاج عبد القادر رجع الى وطن الجزائر وأخذ مليانة **والســـلام** ٠

د ـ الامير عبد القادر :

ومن الطبيعى أن يكون نشاط هؤلاء الخلفاء والاعيان ، مستمدا من نشاط الامير عبد القادر ، وحيويته ، وحنكته السياسية والعسكرية ٠ ومن رغبته فى توسيع أفق ثورته ٠ فالى جانب نشاطه العسكرى ، كانت له اتصالات ديبلوماسية ، وسياسية مع الخارج ، ومراسلات مكثفة مع خلفائه وأعوانه فى الداخل ، ومع الحكام والرؤساء فى الخارج ، مثل بايات تونس ، وسلاطين المغرب الاقصى ، وحكومة بريطانيا ٠ (46)

وفى هذه الدراسة نورد له ثلاثة رسائل عثرنا عليها فى أرشيف تونس كذلك :

الاولى : وجهها الى محمد الحسناوى شيخ الحنانشة ، وهى التى أشار اليها محمد الصغير بن عبد الرحمن كمامر ٠ وقد حثه فيها الامير على الجهاد ، والثبات فى الكفاح ، وعدد له كثيرا من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية التى تحث على الجهاد ، وأخبره بأنه يتتبع أخباره عن كثب ، ومتشوق للالتقاء به عندما تسمح الظروف بذلك (47) ٠

الثانية : وجهها الى على بن سالم ، وأخبره فيها بأنه على صلة واطلاع باخباره عن طريق خليفته محمد الصغير بن عبد الحمن ، وألح عليه بعد ذلك قائلا : « ثم انه لابد منك أن تبذل جهدك فى استقصاء أخبار الشرق من طرابلس اليكم ، وتعرفنا بها على ما هى وبين لنا صحيحها من غيره مفصلة بحيث لانحتاج الى سؤال غيرك ولا تقصر بارك الله فيك واحسن عافيتك (48) ٠

الثالثة : وجهها الى محمد بن حسن باى تونس يهنئه فيها ، ويرجو منه ربـــط الصلات معه ، وأخبره بقوله : « فاننا بعثنا اليكم من يقوم مقامنا فى التهنئة لكم وعقد

---

46) للمزيد من التفاصيل على نشاط الامـير الديبلوماسى ، راجع كتابنا السابق ، ص 90 ـ 98 ، وكتاب تحفة الزائر ، ج 2 ، ص 189 ـ 212 ٠

47) أ٠ ح٠ ت٠ ، نفس المصدر ، وثيقـــة رقم 41 بتاريخ 6 ربيع الثانى 1263 (23 مارس 1847) ٠

48) **نفس المصدر ، وثيقة رقم 40 بتاريخ 6 ربيع الثانى 1263** (23 مارس 1847) ٠

المحبة بيننا وبينكم وحسن الجوار معكم » · وأضاف بعد ذلك قوله : فاستوصوا بالحاملين خيرا ، وقفوا معهم موقف الكرام عند المعظم السيد أحمد باشا فانهم لا يعرفون أحوال تلك الناحية » (49) ·

وفيما يلي نصوص هذه الرسائل وأصولها تنشر لاول مرة :

الوثيقة العاشرة :

رسالة الامير عبد القادر الى محمد الحسناوى

يحثه على الثبات فى الجهاد

الحمد لله وحده (50) وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم · سلام يعم الاغوار والنجود ورحمة الله وبركاته ما تعاقب الحلوان بالعدم والوجود على الموصوف بالشجاعة والجود أخانا الواثق بالحق الوكيل القوى السيد محمد الحسناوى أسعد الله حالنا وحاله وبلغ فى الدارين آمالنا وآماله وبعد أيه الفارس المجاهد الصابر المكابد أسمع أسمعك الله خيرا ووقاك بلطفه خيرا ان الجهاد شعار الانبياء وحرفة المؤمنين الاتقاء فأحمد الله الذى أرشدك اليه وسله أن يثيبك ويعينك عليه الم تعلم أن الله يقول لصفوته وخيرته · فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به بعد أن قال ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة · فانظر يا أخى أسعدك الله ، الى هذه المنى وقال يقاتلون فى سبيل الله فحقق هذا المعنى واستعن بالله ، وقال ، «فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا» فكن ممن لا يخافون فى ذلك طعنا ولا شقا، وقال فى التورية والانجيل والقرآن وناهيك بهذا الوعد شرفا لعلو هذا الشأن ، ولقد مدح الله الجهاد والمجاهدين فى أى ما آية ، وذكر ما لاهله من الفضل والعناية وقال تعالى :

---

49) نفس المصدر ، وثيقة رقم 42 ، بتاريخ 1 جمادى الثانية 1266 · وهذا التاريخ محل نظر لانه يوافق 14 أبريل 1850 ، والامير فى هذه الفترة يوجد فى المنفى بفرنسا ·

50) أ· ح· ت· صندوق 78 ، ملف 929 وثيقة رقم 41 · وهى الرسالة التى أشار اليها محمد الصغير بن عبد الرحمن الذى كان الواسطة فى ابلاغها اليه · انظر نص الوثيقة السادسة رقم 37 ·



الحمد لله وحده

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

الشكل رقم 10 ــ رسالة الامير عبد القادر الى محمد الحسناوى يحثه على الثبات فى الجهاد
أ٠ ح٠ ت٠ صندوق 78 ملف 929 ٠ وثيقة رقم 41

وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما ، فحازوا بذلك دون القاعدين شرفا وتعظيما • فدوموا على ما أنتم واسئلوا من الله العون ، وقال : **ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون** • حاصله أيه المحب ان الله لا يرشد ولا يقيض للجهاد الا مـن أراد به خير الدنيا والدين • وقال : **فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين** ، وما ثبط الا من أراد به خزيا ونكالا • وقال . **لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا** • فافهم ودم على ما أنت ولا تسمع كلام الكشف الميل المعازيل وتدبر قوله تعالى : **الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** • وأعلم أننا لا زلنا عن أحوالكم سائلين وللقائكم شائقين ولكم بالخـير داعين ولاخباركم مراعين فنسئل الله أن يجمعنا بكم فى أحب الاوقات اليه وأبركها لديه على أحسن حال • وقال تعالى : **ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهـم يجادلون فى الله وهو شديد المحال** • وكتب بأمر ناصر الدين وامام المجاهدين مولانا وسيدنا الحا ج عبد القادر بن محيى الدين أيده الله آمين ، 6 ربيع الثانى عام 1263 (51).

الـوثيقة الحـادية عشـرة :

رسالة الامـير عبد القـادر الى على بن سـالم

يطلب منه فيها أن يهتـم بأمر الحـدود الشرقية

الحمد لله (52) وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم •

محب الايمان والمؤمنين المعظم المكرم المحترم السيد على بن سالم سالمنا الله واياه آمين وسلام عليكم ورحمته وبركاته وبعد ايه المحب كيف أنت وكيف أحوالك نسئل الله أن يجعلها موافقة للكتاب والسنة مع موافقة المراد لمحمد وآله صلى الله عليه وسلم ثم أعلم أنه بلغنا عنك على لسان السيد محمد الصغير بن عبد الرحمن الخليفة ثناء جميل فشكرنا لك ذلك وأعجبنا كثيرا ودعونا لك بخير والله يتقبل آمين ، ثم أنه لابد منك

51) الموافق حوالى 23 مارس 1847 •

52) أ• ح• ت• صندوق 78 ملف 929 وثيقة 40 •



الشكل رقم 11 ـ رسالة الامير عبد القادر الى علي بن سالم يحثه على الاهتمام بالحدود الشرقية ٠

أ٠ ح٠ ت٠ صندوق 78 ملف 929 ٠ وثيقة رقم 40

أن تبذل جهدك فى استقصاء أخبار الشرق من طرابلس اليكم وتعرفنا بها على ما هى وبين لنا صحيحها من غيره مفصلة بحيث لا نحتاج الى سؤال غيرك ولا تقصر بارك الله فيك وأحسن عاقبتك آمين والسلام بأمر ناصر الدين سيدنا الحاج عبد القادر بن محيى الدين أيده الله آمين وكتب ليلة 6 من ربيع الثانى عام 1263 هـ (53) ٠

الوثيقة الثانية عشرة :

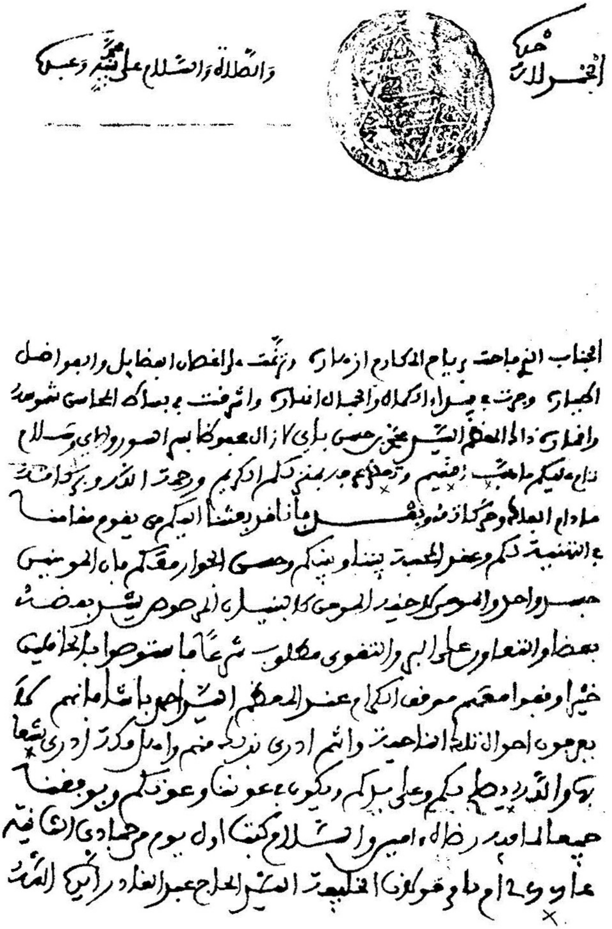
رسالة الامير عبد القادر الى محمد بن حسن باى تونس

حول توجيه رسول اليه للتهنئة وربط الصلات

الحمد لله وحده (54) والصلاة والسلام على محمد نبيه وعبده ٠

الجناب الذى فاحت برياح المكارم أزهاره وترنمت على أغصان الفضائل والفواضل أطياره وجرت فى بيداء الكمال والجمال أنهاره وأشرقت فى بساط المحاسن شموسه وأقماره ، ذاك المعظم السيد محمد بن حسن باى لا زال محفوظا بسر السور والآى وسلام تام عليكم ما هب النسيم وتعطر عرفه بمنزلكم الكريم ورحمة الله وبركاته ما دام الفلك وحركاته ٠ وبعد فانا قد بعثنا اليكم من يقوم مقامنا فى التهنية لكم وعقد المحبة بيننا وبينكم وحسن الجوار معكم فان المؤمنين جسد واحد والمؤمن لاخيه كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا والتعاون على البر والتقوى مطلوب شرعا فاستوصوا بالحاملين خيرا وقضوا معهم موقف الكرام عند المعظم السيد أحمد باشا فانهم لا يعرفون أحوال تلك الناحية وأنتم أدرى بذلك منهم وأهل مكة أدرى بشعابها والله يصلح بكم وعلى يدكم ويكون فى عوننا وعونكم ويوفقنا جميعا لما فيه رضاه آمين والسلام ٠ كتب أول يوم من جمادى الثانية عام 1266 (55) بأمر مولانا الخليفة الحاج عبد القادر أيده الله ٠

53) الموافق حوالى 23 مارس 1847 ٠
54) أ٠ ح٠ ت٠ صندوق 78 ملف 929 وثيقة 42 ٠
55) الموافق حوالى 14 أبريل 1850 وهو خطأ كما مر من الناسخ على ما يبدو ٠


الحمد لله وحده

والصلاة والسلام على نبيه محمد وعبده

الجناب الذي فاحت بايام المكارم ازهاره ونمت من اغصان الفضايل والفواضل

[illegible]

[illegible]

[illegible] ورحمة الله وبركاته

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

جميعا [illegible] والسلام كتب اول يوم من جمادى الثانية

[illegible]

الشكل رقم 12 ـ رسالة الامير عبد القادر الى محمد بن حسن باى تونس حول رسول وهدية اليه ·

أ· ح· ت· صندوق 78 ملف 929 · وثيقة رقم 42

عالم جزائرى ساهم فى إحياء التراث والثقافة الاسلامية فى العالم الاسلامى

الطاهر الجزائرى

المهدى البوعبدلى
عضو المجلس الاسلامى الاعلى
الجزائر



هو الطاهر بن العالم المؤلف صالح بن أحمد ابن موسى بن أبى القاسم السمعونى الوغليسى. هاجر والده صالح المذكور، قبيلته بنى وغليس - وادى بجاية - إثر الاحتلال الفرنسى لبلاد القبائل حوالى سنة 1263 هـ والقى عصا التسيار بدمشق الى ان توفى بها سنة 1285 هـ .

وترك عدة تآليف فى مختلف الفنون، منها رسالة فى علم الميقات، وكتاب فى التاريخ، وقد ترجمه عبد الرزاق البيطار فى « حلية البشر فى تاريخ القرن الثالث عشر » ذكر تآليفه وخص منها تأليفه فى التاريخ فقال : « وله فيه أسلوب عجيب وطريق نادر غريب ، وكان صالحا تقيا ، وفالحا نقيا ، رفيع المقام ، وافر الاحترام ، مقبلا على الله ، مدبرا عما سواه ، جميل المقال ، جليل الخلال ، لم يزل على حاله ، متخليا من الدهر عن أو حاله ، الى ان خطفته دواعى المنية الى دار الآخرة العلية » اهـ .

ترك صالح أولادا اشتهر منهم مترجمنا الطاهر المشهور بالجزائرى .

ولد الطاهر بدمشق حوالى سنة 1268 هـ ، وتعلم فى مدرسة والده ، ثم التحق بالمعاهد الشامية فنبغ فى مختلف الفنون العربية ، واتقن اللغتين،الفارسية،والتركية ٠

وقد ترجمه صديقه ، وأعرف الناس به ، أحمد تيمور فى كتاب:« اعلام الفكر الاسلامى فى العصر الحديث » فقال « ٠٠٠ وكانت هوايته للكتب سببا لتنقله فى مختلف البلاد ، لجمع نفائسها ، فأكسبته رحلاته معارف جمة جديدة ، وتوثقت صلاته بكثير من العلماء والادباء فى البلاد التى زارها ، وصار مرجعا يعتد به فى فن وصف المخطوطات ومعرفة مظانها » ٠

ثم قال تيمور « والى الشيخ طاهر الجزائرى يرجع الفضل فى السعى الحثيث فى انشاء كثير من المؤسسات النافعة فى دمشق ، وفى مقدمتها الجمعية الخيرية ، التى ضم اليها مشاهير العلماء والوجهاء السوريين ، وتم تأسيسها سنة 1894 ٠ وأنشأت مدارس عديدة ، كما انشأت مطبعة قامت بطبع كثير من الكتب المدرسية » ثم واصل تيمور الترجمة بقوله : « ومن مساعيه الحميدة ، تأسيس المدرسة الظاهرية بدمشق ، وانشاء مكتبتها الكبيرة التى جمع فيها ما كان مبعثرا من الكتب والمخطوطات القيمة فى المساجد والمدارس وغيرها ، فحفظها بذلك من الضياع ، ويسر الانتفاع بها ، كما يرجع الفضل الى الشيخ طاهر الجزائرى فى انشاء المكتبة الخالدية بالقدس » ٠

والى جانب هذا كله عكف ــ رحمه الله ــ على جمع نفائس المخطوطات ، ونوادر المطبوعات ، وواصل جهوده فى التأليف والترجمة ، وقام برحلات عدة الى جزيرة العرب وغيرها من بلاد المشرق ، ثم اعقبها برحلات أخرى الى الاستانة ، ومصر ، والبلاد الاوروبية ، وفى سنة 1316 هـ ــ 1898 م ٠ عين مفتشا لمكاتب الشام ، ولبث فى هذا المنصب أربع سنوات ، قدم خلالها خدمات جليلة لتنظيم هذه المكاتب والنهوض بها ٠

وحدث ان قام بعد ذلك برحلة الى فلسطين ، وفى اثناء غيبته هناك قامت السلطات الحاكمة فى دمشق بتفتيش داره فيها ، ومصادرة كتبه وأوراقه ، والتحفظ عليها فى مكتبه الخاص بمدرسة عبد الله العظم ــ باشا ــ.فاستاء من هذه المعاملة . واستقر رأيه على المهاجرة الى مصر ، وتم له ذلك فى سنة 1905 ، وحمل معه اليها أكثر محتويات

كتبه الثمينة ، تاركا بقيتها فى المكتبة الظاهرية بدمشق ، بعد ان وقفها عليها ، وقد رحب به علماء مصر وأدباؤها ، وبقى فيها محوطا بالاجلال والتكريم ، حتى أصيب بمرض طال علاجه سنة 1919 فعاد الى دمشق ، حيث عين مديرا للمكتبة الظاهرية ، ثم عضوا فى المجمع العلمى هناك ، ولكن مرضه ما لبث ان اشتد، وأسلم روحه الطاهرة الى بارئها بعد قليل » اهـ ترجمة تيمور .

وقد تتلمذ له كثير من كبار علماء سوريا وزعمائها أمثال محمد كرد على ، وجميل مردم ، والامير شكيب ارسلان ، ومحب الدين الخطيب ، وغيرهم ، كما اعترف لـــه بالفضل والافادة ، كثير من كبار المستشرقين الذين اخترنا من بينهم كولد صيهر المجرى goldziher الذى كاتبه من بودابست Budapest سنة 1317 هـ . ونشرت هذا الكتاب ، مجلة الازهر فى عددها المؤرخ بصفر 1373 هـ ، الذى استهله بقوله : « سلام الى صاحب الشرف الباذخ ، والفضل الشامخ ، هو المرجع للاماثل والافاضل ، الحاوى لاقصى معارج الفضائل والفواضل ، العالم العلامة الشيخ طاهر بن صالح المغـــربى الجزائرى ، ادام الله تعالى فضله ... الى ان يقول:ارجو انه ما انمحى من قلبكم خيال صاحبكم المجرى ، الذى كان يستجير بشامكم فى سنة 1290 هـ ، مقتبسا من أنــوار علمائها ، وكثيرا ما تداول بين فضلائها وأدبائها ، وصاحبكم يــوما فيوما ، مستأنسا بمجاورتكم ، ومذاكرتكم ، وكنا اذ ذاك ــ انتم وعبدكم الكاتب ــ فى عنفوان شبابنا ، متبحرين فى العلوم الشريفة ، مستغرقين فى بحور الآداب الطريفة ، والآن هيهات بعد مر سبعة وعشرين من الاحوال ، وهن عظمى،واشتعل رأسى شيبا ، اما والله تعـالى ما اندرس ذكر الصاحبين المنبرين من نفسى وفؤادى مع انى :

لقـــد عيـــل صبـــرى بعـــدكـم وتكـــاثـــرت
همـــومـــى ولكـــن المحـــب صبـــور

ومعتمدا على دوام ما جبل الله تعالى فى قلوبنا من المحبة والمودة ، اتجسر يا أيها الشيخ العلامة ، ان استفهمكم عن مسألة دمشقية ، لا أجد لها فى الكتب التى تحت تصرفى ، مع شدة اشتياقى لازالة شبهتى فى تلك المادة ، فذلك انى قرأت فى خلاصة المحبى ،

وسلك الدرر للمرادى ، لا غيرهما من الكتب التاريخية ، وطبقات علماء الاسلام ، ان الشيخ عبد القادر بن محمد ابن سوار المتوفى سنة 1014 هـ ، بعد رجوعه من مصر الى دمشق ، كان أول من انشأ سنة 940 هـ ، بدعة حسنة ، نقلها من مصر ، وهى اقامة الجماعات الذكرية ، المختصة للصلوات على النبى صلى الله عليه وسلم ...

تفضل على يا أيها الشيخ ، بافادة جواب شافى ، مثابا جميل الثواب ، من الله الكريم الوهاب ، وتخبرونى أيضا عن أحوالكم كلياتها وجزئياتها ، واما عبدكم فيتشكر لله تعالى على ما انعم عليه من خيره ، صابرا على البلايا ، ان الله مع الصابرين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

تحريرا فى بودابست 5 ذى الحجة من شهور سنة 1317 كتبه العبد الحقير الفقير اجناس كولد صهر المجرى » اهـ .

وقد نشر نبذة من ترجمته المستشرق الشهير الفرنسى هنرى لاوست فى « مجلة المغرب الجديد » التى كانت تصدر بتطوان (المغرب) بعددها المؤرخ فى ربيع الثانى 1354 هـ ـ 1935 م . نشر المستشرق المذكور مقالا تحت عنوان « الحركة الاصلاحية السنية المعروفة بالسلفية » تحدث فيه على المجلة السلفية التى اصدرها الشيخ طاهر الجزائرى سنة 1917 تعرض فيها لترجمته فقال : « ولد (طاهر الجزائرى) فى دمشق سنة 1851 وقد حذق اللغات العربية والتركية والفارسية على السواء ، مع مشاركة فى مبادى العلوم الغربية ، وأسس خزانة دمشق ، وقام فى سنة 1878 تحت اشراف مدحت باشا ، بتنظيم التعليم فى سورية ، التى ما يزال ذكره فيها محفوظا فى روعته ، كما انه شن الغارة على الاستعمار التركى ، ثم عاد ملتجيا فى سنة 1919 الى القاهرة ، حيث وافته المنون » اهـ .

ألف طاهر الجزائرى عدة كتب منها المطبوع وغير المطبوع .

وقد ترجم بعضها الى اللغات الاجنبية ، من بينها تأليفه : « توجيه النظر)1(، الى علم الاثر » الذى ترجمه من العربية الى الالمانية قولدصيهر المذكور ، ومن تآليفه المطبوعة : « عقود اللآلى ، فى الاسانيد العوالى » و « ومنية الاذكياء فى قصص الانبياء »

و « الفوائد الجسام ، فى معرفة خواص الاجسام » ورسالة فى الامثال والحكم ، وأخرى فى العقائد ٠

اما التآليف الغير المطبوعة « فالتفسير الكبير » و « المعجم العربى » و « السيرة النبوية » و « وجلاء الطبع فى معرفة مقاصد الشرع » وموسوعة باسم « التذكرة » فى عدة مجلدات ، ضمنها ما اختاره من نوادر المخطوطات والتآليف ، وقد زار الجزائر حوالى 1912 ، ونزل ضيفا عند اصهاره الاستاذ محمد السعيد ابن زكرى المفتى المالكى ، والمدرس بالمدرسة الثعالبية اذ ذاك ، وقد سبق لمحمد السعيد ابن زكرى ، أن زار اقاربه ، أسرة الشيخ المبارك الدلسى بالشام ، صحبة ولده صديقنا الاستاذ أحمد ابن زكرى مدير المدرسة الثعالبية فى عهده ، وتعرفا به ، ودعياه لزيارة الجزائر ، فأجاب دعوتهما ، واثناء مقامه بالجزائر ، كان يتحدث بالقبائلية ، ولاحظ الشيخ محمد السعيد ابن زكرى ان لغته كانت اثرى من اللغة المستعملة حينئذ بالجزائر بألفاظها الاصلية ولنختم هذه الدراسة بمقال كتبه الاستاذ محب الدين الخطيب ابنه فيه ونقلته عنه « مجلة الشهاب » القسنطينية التى كان يصدرها الاستاذ عبد الحميد ابن باديس بعددها المؤرخ فى جمادى الاولى سنة 1356 هـ ـ 10 يوليو 1937 تحت عنوان : « شيخى » قال محب الدين الخطيب تحت العنوان المذكور : « هو الذى ربى عقلى ، وهو الذى حبب الى هذا الاتجاه الفكرى ، منذ كنت طفلا الى ان صرت رجلا ، ولا أعرف مؤلفا ، ولا حامل قلم نشأ فى ديار الشام ، الا وقد كانت له صلة بهذا المربى الاعظم ، واستفادة من عقله وسعة فضله ، امـا مباشرة ، أو بواسطة الذين استفادوا منه ، وكل الذين جاهدوا هناك لاجل الحرية ، وفى سبيل المعارف ، ولاحياء علوم السلف ، ولاعادة مجد العروبة والاسلام ، انما كانوا من اخوانه ، وهو واسطة عقدهم ورأس مجالسهم ، أو من طبقة تلاميذه ، وهو قدوتهم ، ومطمح انظارهم أو من الذين أخذوا عن تلاميذه وهو مضرب المثل عندهم فى كمال العقل ، وسعة الاطلاع التى لا حد لها ، وبالاجمال هو جرثومة (كذا) الخير الاولى من أيام ولاية مدحت باشا على سوريا ، الى ان هاجر هذا الرجل العظيم الى مصر ، حوالى سنة 1325 هـ ، فكان موضع حرمة كل من يعرف الفضل من أهلها ، كتيمور باشا ، والشيخ على يوسف ،

واحمد بك الحسينى ، وأحمد زكى باشا وامثالهم ، وأهم كتب السلف النافعة التى نشرها الناشرون انما نشروها باشارته وتحريضه ، وانا وكل ما نشرته ، لسنا ، الا قطرة من بحر الخير ، الذى كان يتدفق من صدر هذا العالم العامل ، الذى كانت الدنيا لا تساوى عنده جناح بعوضة ، وليس له فيها من امنية الا ان يرى عز الاسلام يعود ، كما كان فى أيام القوة والعدل والعلم وتقوى الله عز وجل ، لارمى نفسى بالعقوق ، وانكار الجميل ، كلما فكرت فى ابطائى حتى الآن عن القيام بحقه على التاريخ، ولكن اذا عظم المطلوب ، خارت القوة دونه ، وحياة الشيخ طاهر الجزائرى ، حياة دور من أدوار الاصلاح ، بل هى تاريخ الامة فى حقبة من حياتها ، ولابد أن أقوم بهذا الواجب فى يوم من الايام ، رحمة الله عليه ومغفرته ورضاه » . هذه نبذة من حياة رجل عالم ، لفت أنظار معاصريه علاوة على تعمقه فى العلم ، وسعة اطلاعه ، لفت انظارهم بحياة مثالية ، كان يحياها علماء السلف الصالح ، شجاعة أدبية نادرة ، ورفع همة ، حتى انه كان تعوزه الحاجة فى ضروريات حياته من أكل ولباس ، فيبيع بعض كتبه ـ وهى اعز ما يملك ـ ولا يلجؤ الى التسلف ، أو قبول الهدايا حتى من أعز أصدقائه ، وان له على الجزائر حقوقا فهل قامت ببعض واجباتها نحوه ؟

الفلسفة الاسلامية الاسبانية (1)

د. سالفادور غومث نوغاليس

رئيس قسم الفلسفة الاسلامية
بالمعهد الاسبانى العربى للثقافة
مدريد (اسبانيا)

تعريب : ب. دفيلار



انني فى خوف من هذا العنوان الذى أعطى لهذه المحاضرة (1)، فبالاضافة الى انه موضوع واسع فاني لا أعرف من أين أبدأ • ولقد كتب Cruz Hernandez كتابين فى تقديم هذا المفهوم ومع ذلك فهو يشعر انه لم يستوف الموضوع • ان لم يؤول تأويلا سيئا فكر منظمى هذا المؤتمر فان ما نهدف اليه ليس الوصف الدقيق للفلسفة الاسلامية الاسبانية وانما نريد أن نعطى القارىء غير المتخصص المراجع التى يستطيع بها ان يدخل هذا الميدان •

(1) محاضرة ألقيت بقاعة الموقار بتنظيم من المركز الثقافى الاسلامى وذلك يوم 1975/9/12 م •

حتى ولو حصرنا الموضوع فى هذه الحدود فاننا نجد مصاعب كبيرة لوجود جزء غير قليل من المصادر غير مطبوعة وانما هى ما تزال مختفية فى المخطوطات حتى لو تعرضنا للشخصيات المشهورة فى هذه الفلسفة ٠

والفلسفة الاسلامية الاسبانية كما سنرى حالا،لها صبغات مختلفة مما يجعلنا لا نستطيع أن نحصرها داخل اطار ضيق ٠ وكل مؤلف خليق بأن يعالج معالجة خاصة ، بل من الممكن لكل مؤلف أن يستغرق زمان هذه المحاضرة ٠

والحل الوحيد هو أن نحدد الطريق الذى نسير فيه ، وأكون مسرورا اذا وصلت الى أن يشعر كل منا بضخامة العمل الكبير الذى ينتظرنا ولو كان فتح طريق صغير ، اذا شئتم نجمع المواد التى نبنى عليها تأريخا للفلسفة الاسلامية الاسبانية مؤيدا بالوثائق ٠

وأستطيع أن أقسم عملى الى ثلاثة اجزاء هامة :

1) مصادر الفلسفة الاسبانية الاسلامية ٠

2) فكرة عامة عن النزعات الفلسفية المختلفة فى اسبانية الاسلامية ٠

3) تقديم لاسماء الكتب التى يمكن أن تفيد فى هذا الميدان ٠

وفى النهاية وكمثل تطبيقى عما نستطيع ان نعمل لكل مؤلف ، نقدم فى آخر عملنا عرض هدفنا الذى نكاد نحققه فننشر جميع آثار الفيلسوف الاسلامى الاسبانى ابن رشد ٠

1 ـ مصادر الفلسفة الاسبانية الاسلامية :

وفى البداية اتمنى أن أشرح لكم عنوان هذه المحاضرة حيث حدثت مناقشة طويلة حول الاسلام الذى لابد أن نعطيه لهذه الفلسفة ٠ فى كثير من كتب تاريخ الفلسفة جرت العادة على تسميتها بالفلسفة العربية ٠ ولكن فى هذه المحاضرة اخترنا اسم الفلسفة الاسلامية ولا يتلاءم أى من الاسمين ملاءمة حسنة ٠

لاننا لو اطلقنا عليها اسم الفلسفة العربية لدخل تحت هذا الاسم الفلسفة المكتوبة بالعربية فقط ولخرجت الفلسفة الاسلامية الاخرى غير العربية مثل الموجودة عند الفرس،

والاتراك،والهنود،والباكستانيين،مع انها بنفس تصورات الفلسفة العربية عموما . وزيادة عن هذا فالعنوان له معنى سياسى لان العنوان الذى يدل على الوحدة العربية لا يقبله المسلمون من غير العرب . ومن ناحية أخرى كان لابد ان يدخل تحت هذا العنوان الفلسفة اليهودية والمسيحية المكتوبة بالعربية . ولكنى لا أضعهما بمحتواهما وتصوراتهما مع الفلسفة العربية حتى وان كان بينهم قاسم مشترك فى الكلام المستعمل .

ولكن اذا فضلنا تسمية الفلسفه الاسلامية خرجت الفلسفة اليهودية والمسيحية ووجب أن تدخل النصوص المكتوبة بالايرانية والهندية والباكستانية . فى هذه الحالة لانها لغات مختلفة لا نستطيع أن نعطيها صفة الفلسفة العربية . ولقد كتب Anawati (1) بحثا ليوضح فيه كيف يفكر فى هذه النقطة المتخصصون فى هذه الفلسفة . ولقد اشتمل بحثه فى النهاية على كل الاذواق المختلفة . البعض مسلمون أو غربيون،اختاروا فلسفة اسلامية والآخرون فضلوا فلسفة عربية وفريق رأى أن نطلق اسما يجمع بين العربية والاسلامية أو ما يقرب من هذا .

ولقد سبق اثارة هذه المشكلة من قبل فى تسمية الفلسفة المسيحية . فالفلسفة لا تستطيع ان تكون الا واحدة دون أن تصبغ بصبغة دينية تفترض ايحاء سابقا : يهوديا، أو مسيحيا، أو اسلاميا . نبنى الفلسفة على التفكير الذهنى لا على الايحاء .

ولكنى أميل الى تسمية «الفلسفة الاسلامية» لا لانها تحمل شيئا ضد غير المسلمين ولكن لان تصورها أخذ الهامها فى حالة دينية معينة . ان القاسم المشترك لهذه الفلسفة لا يأتى من اللغة العربية ولكن من التأثر مباشرة أو غير مباشرة بتصور الدين الاسلامى كما انه لا يخطر ببال أحد أن يسمى الفلسفة المدرسية (la scolastique) الفلسفة اللاتينية ولكن يطلق عليها فى الغالب اسم الفلسفة المسيحية لانها وجدت فى البيئة الثقافية المسيحية .

نحن نسمى هذه الفلسفة فلسفة اسلامية لان تفتحها وطرقها ارتبطت جوهريا بظهور الاسلام وهو حدث دينى وروحى . وكل تصوراتها الفلسفية ألهم بتصورات

(1) C G. Anawati, « Philosophie médiévale en terre d'Islam ». (Note 1, p. 124), Midéo 5 (1958 - 59) 175 - 236.

الاله ، والانسان ، والعالم • كما أن تصرفها متأثر بالبيئة والثقافة الاسلاميتين • وفى هذا أكبر ابتكارية لها • ولقد أثارت نركيبا دينيا تحققت فيه خلاصة جميع الفلسفات السابقة • وهكذا أعطت هذه الفلسفة دعامة انسانية للايحاء باقامة بناء دينى • وهى فلسفة نبوية تصورت كدعامة انسانية للايحاء الاسلامى • والالتقاء بين مجمل الفلسفة والدين فى الاسلام وبين الغربيين يكاد يحدث فى الفلسفة المسيحية فى القــرون الوسطى عصرا ذهبيا للفلسفة المدرسية •

بعد أن وضحنا ما نفهمه فى الفلسفة الاسلامية نبدأ فى دراسة مصادر هذه الفلسفة فى اسبانية •

أ) القرآن الكريم والعلوم الدينية الاسلامية •

عرفنا الفلسفة الاسلامية كتعميق لفهم المشاكل الدينية فى الاسلام • لذلك كان القرآن والعلوم الدينية الاسلامية أهم المصادر للفلسفة الاسلامية • وربما بدا هذا غريبا للغربيين •

ومن الراجح اننا حينما نقرأ القرآن لا نحس نفس المشاكل التى يتساءل عنهــا المسلمون • ولقد أحسن Corbin عندما قال فى كتابه : « تاريخ الفلسفة الاسلامية »(1) المسألة ليست تحليل ما يراه الغربيون فى القرآن ولكن ما تكشف عنه قراءة المسلمين للقرآن • واذا نظرنا فى النظريات الفلسفية عند كبار فلاسفة المسلمين نجد أن جزءا كبيرا من هذه النظريات أخذوه من قراءتهم للآيات القرآنية والعلوم الدينية الاسلامية التى اثارت تصورات تعين المحتوى المثالى للفلسفة الاسلامية •

ب) المذاهب الفقهية فى تأويل القرآن •

وليس معنى ذلك أننا نشتغل بالفقه ولكن يلزم ان ننطلق من نقطة أساسية وهى أن القرآن الكريم كان الدعامة الاولى عند المسلمين الاولين • ولقد كان القرآن كتــابا دينيا وقانونيا يجمع قواعد علم الاخلاق ولهذا كان هــو المسيطر فى الحياة التطبيقية

(1) (H. Corbin : Histoire de la philosophie islamique 13 ss I Paris 1964 (note 2, p. 125).

للمواطن المسلم ونلخص هذا فى جملة واحدة وهى أن القرآن كان ملخصا لكل النظريات التى يهتدى بها المسلم فى حياته · وكل ما أنحرف عن ذلك يعتبر مخالفا للاجماع ·

ولكن استدرك سريعا،أن القرآن لا يحتوى على كل شيء،فبدأ فى احضان الاسلام تكوين مذاهب فقهية لتأويل القرآن حرفيا · وفى البداية كانت المسألة فقط اعطاء كلام القرآن سعة ضرورية ليوجه الانسان فى مختلف ظروف الحياة · ولكن رؤى أن ذلك غير كاف · حينئذ بدأ تمثل معايير مختلفة للتأويل وهى ليست مباشرة فى القرآن· وهذه المعايير تسمح بحل المشاكل والمواقف غير المتوقعة فى القانون القرآنى ·

وهذا الفتح للمعايير الفقهية غير الداخلة فى القرآن كان بابا صغيرا مفتوحا سمح بدخول فكر هامشى فى القرآن وفى هذا الميدان الهامشى سجلت كل الفلسفة الوثنية ، وبالادق الفلسفة اليونانية ليولد الفلسفة الاسلامية · ولنر هذه المعايير الفقهية التى فتحت الباب لافكار لم تكن موجودة فى القرآن ولكنها لا تعتبر خارجة عن الاجماع ·

ومن قديم الزمان توجد أربعة مذاهب كرست للفقه ومعترف بها من جميع الناس كقانون يلتزمون به فى القرن الثالث عشر (السابع هجريا) · والاعتراف بهذه المذاهب فى تأويل القرآن متأثر بتأثيرات خارجية : تأثير الفقهاء ، نتيجة صلتهم بالملوك ، وموافقة شعور الشعب كما أنها تتأثر بالظروف الجغرافية والتاريخية التى ساعدت على انتشارها لانها موجودة فى الاماكن التى يمر بها الحجاج الى مكة ·

أولها المذهب الحنفى الذى أسسه أبو حنيفة المتوفى سنة 767 م ـ 150 هـ · وأصله فارسى سكن فى الكوفة فى العراق · لذلك سمى تلاميذه باسم أهل العراق · وهذا المذهب جمع اقدم العناصر فى فقه الاسلام · ويتبع هذا المذهب اليوم نصف المسلمين فى العالم · المعايير التى يستعملها هذا المذهب لتوسيع تأويل الفقه فى الاسلام · ومن هذه المعايير استعمال الرأى ، أى حسب أصله هو الرأى الشخصى · وتطبيقا لهذا يحتمل العقل فى تأويل القرآن · وهكذا تظهر أهمية الرأى الشخصى للفلسفة فى تأويل كلام القرآن ·

ويعتمد الاحناف أيضا على طريقة القياس للاستدلال • وتعتمد هذه الطريقة على معيار تمثيل منهجى فى تطبيق المبادىء القرآنية فى حالات مماثلة • ويلوم مسلمو مكة والمدينة الاحناف عن المبالغة فى استعمال القياس مع الجهل بالترجمة •

ومعيار آخر فى تأويل أكثر شجاعة من القياس وهو مستعمل بهذا المذهب هو الاستحسان • وهذه الطريقة تحتمل القبول والمصادقة على شىء أو حدث حقيقى من أجل حسنه الموضوعى • ومن الانصاف ان نتبع هذه القواعد الفقهية حتى فى المواقف التى توجد فيها خلافات مع التمثيل المنهجى للقياس •

المدرسة الفقهية الثانية هى المالكية وهى تجمع أقدم العناصر السنية فى فقه الاسلام فى كتاب الموطأ • وامامه مالك بن آنس الذى توفى فى سنة 795 م 179 هـ • اشتمل فقهه على سنة أهل المدينة وهى من الاسلام وقد احتوت على طقوس وقوانين مدنية ودينية • والواقع أن حدوث عمل من سنة أهل المدينة يعتبر معيارا كافيا • وليس معنى هذا أن سنة النبى خارجة عن الموضوع •

ملاحظة : Note 3, p. 127
((3), p. 127)

لفهم الفقه المالكى كمذهب مختلف عن المذاهب الاخرى المعترف بها يجب الرجوع الى ما كتبه M. A. Makki فى « ابحاث عما يأتى به المسلمون فى اسبانية الاسلامية » خاصة ص 87 ـ 90 • حسب رأى مكى فان سنة أهل المدينة هى الاساس الذى أخذه مالك وركبه تركيبا جديدا •

وهذه المدرسة تحتاج الى عودة الى الخلف بالنسبة الى المدرسة السابقة ، وهى تختلف عن سابقتها فى تأويل القرآن • فهى تسلم بالرأى وبشىء من القياس والاستحسان ولكن أقل مما تسلم به مدرسة الحنفية •

تصحح الاستحسان بتخفيفه كمبدأ يختلف قليلا عن الاستحسان وهو المصلحة • ومن الانصاف أن نسلم بكل ما يفيد ولكن بشرط : أن تكون الفائدة قاطعة كلية وضرورية •

هذه المصلحة أو هذا الاستصلاح كان معيارا يسمح بتصحيح الفقه القرآني في الوقت الذي كان ضروريا للمصلحة العامة ٠

وكمثل على هذا فانه يجوز قتل البعض لاحياء الكل في الجهاد. والغزالي Algazel يسلم بأهداف الاستصلاح : الدين ، الحياة ، العقل ، الاسرة والمكتسبات ٠ هذا المعيار فرض نفسه على المدرسة المالكية حتى يستطيعوا في رأيهم، أن يصححوا القرآن، والسنة، والأمـــة ٠

هذه المدرسة مع ضيقها وجمودها فان لها تأثيرا هاما في الفلسفة الاسبانيـــة الاسلامية تفرض في المغرب كاملا، وفي الاندلس. وهو يشرح جزءا كبيرا من المشكلة التي لقيت الفلسفة في مختلف الاقسام في شبه الجزيرة الايبيرية كلها ٠ كل مدرسة في الاسلام تحب ان تنظر الى سابقتها بعدم الثقة حيث توجد في سابقتها حرية التفكير أكثـر منهـا ٠

المدرسة الثالثة أقل انتشارا من غيرها في شبه الجزيرة الاسبانية هي مدرسة الشافعي التي سميت باسم مؤسسها أبي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي توفي سنة 820 م 204 هـ ٠ ونستطيع ان نعتبره الموسس الحقيقي لعلم الفقه الاسلامي ، وهو ينظم استعمال المصادر ويحدده بطريقة ملائمة ٠ ويتبع طريقا وسطا بين الحرفيين التقليديين الجامدين وبين أصحاب الرأي ٠ وهو حقيقة يرفض الاستحسان ولكنـه يسلم باستصحاب الحال وهو افتراض فقهي لامر واقعي حتى يصل الى برهان مخالف ٠ ويرجع السنة لسنة النبي فقط ٠ ويقبل بصراحة معيار الاجماع أي الاجماع الكلي للامة فيما يخص المسائل الغير الموجودة في القرآن أو في السنة وان كان لم يعرف في هذا الزمان حديث الامة أي الامة الاسلامية معصومة عن الخطا ٠

مدرسة الحنابلة وأسسها أحمد بن حنبل توفي سنة 855 م 241 هـ ، وهي تحتمل العودة الى وراء فيما يخص الافتتاح الى المعايير التأويلية في القرآن ٠ ولقد كان أحمد ابن حنبل تلميذ الشافعي، ومدرسته تدل على عودة الى دائرة تقليدية ضيقة ٠ القانون الفقهي الذي نحفظه جُمع من أسئلة التلاميذ وأجوبة الامام أحمد لهـم في حياتـه ٠

وهو فى ظاهره يرفض كل بدعة ويحدد الرأى والقياس • وقد رأوا أن القرآن لا يحل كل الحالات فلجأوا الى وسيلة أخرى ليصلوا فعلا الى تفتح، فيعطون للسنة أهمية كبيرة ليعتمدوا عليها مع تعرض لخطر صحة هذه الاحاديث (Note , p. 124) الحديث هو كلام الرسول ، أو افعاله ، أو تقريره ، وهو يوضح ما فى القرآن) •

هذه المدارس الفقهية تعتبر كمدارس تقليدية عند أغلبية المؤمنين المسلمين ، اتفاق المدارس فى نقطة تسمى بالاجماع ،أى الاجماع الكلى للامة ويلزم الجميع • وفى النقاط المختلف عليها يلزم المؤمن ان يتبع احدى المدارس • نستطيع أن نجد مثل هذا فى المعتقدات المسيحية حيث توجد مدارس عقائدية مختلفة تؤلف فلسفة مدرسية أكيدة يلتزم بها المسيحيون لكى لا يخطئوا • وفى النهاية كلها تميل الى التقليد • وقدمت هذه كمصادر للفلسفة الاسلامية، لانها تتفق الى حد كبير، ورغبة فى البحث، عن معايير أخرى،وطرق أوسع، يمكن بها أن تزدهر الحياة الدينية والعلم الانسانى • وربما أثرت هذه المدارس فى تطور الفلسفة لضيقها الذى يضطر الكثير من الناس ان يبحث فى توجيه آخر عما لا يجده فى المدارس الفقهية •

كل هذه المدارس توغلت بنوع ما فى شبه جزيرتنا • ولكـن ما عـدا الصرورة التى دفعت المؤمنين ليوسعوا حروف القرآن الى معايير أوسع للتأويل ، ومع هذا ، فهذه المدارس الفقهية تدفع الفلسفة الى الامام أو تكبح من جماحها فى بلادنا • واحدة من أوليات المدارس الفقهية التى تقام فى اسبانيا كانت المدرسة السورية أسسها الاوزاعى توفى سنة 777 م ـ 157 هـ • وكان سبب هذا هو دخول العرب الآتين من سورية فى شبه جزيرتنا • هذه المدرسة الفقهية تتميز خاصة بحماسها الدينى الذى يمنع اللجوء الى القياس فى تأويل القرآن • زوال هذه المدرسة الذى أتى بعد نتيجة أنها أتت من طرق بعيدة عن طرق الحج، ونتيجة لتيارات المالكية التى أتت عن طريق المدينة ومصر •

مدرسة أخرى ازدهرت فى بلادنا وهى مدرسة داود بن خلف الاصفهانى توفى سنة 883 م ـ 270 هـ • ونفس الاسم الذى أطلق على المدرسة يظهر لنا ضيق معياره فى التأويل • ظاهرى يعنى عكس الباطن ، أو الحرفية • ولكن القرآن، والسنة، يكونان

مرشدين للمؤمن المسلم · عدم الجهاز والمشاكل التطبيقية سببها حرفيته ادت الى زوالها · وأرجع هنا الى هذين المدرستين لاظهر أن فى اسبانية الاسلام الرسمى، كان بالاحرى مغطى بغطاء ضيق: التأويل الذى يغلق الابواب أمام البدعات العقائدية · تعلق العلماء الاسبانيين بعلماء الاسلام الآخرين الذين كانوا يقابلونهم فى البلدان التى يمرون بها اثناء ذهابهم الى الحج كشف لهم ان عقائدهم الدينية كانت مناسبة لمذاهب أخرى أوسع يدخلونها عند رجوعهم الى بلادهم فى تعليمهم الخاص ليس دائما بموافقة السلطة الرسمية ·

ج) اسبانيـة القوطيـة العربيـة

وليس سهلا استخراج تأثير إسبانية القوطية العربية فى الفسلفة الاسبانيـة الاسلامية بوثائق تاريخية صحيحة · ومما يجعل هذا صعبا سببان :

1) أولا كثير من العرب وجدوا مصلحة ايجابية فى اختفاء السلالة الاسبانية غير المسلمة لئلا يوقظوا شبهة الارتياب فى استقامة رأيهم فى عقائدهم · ويهتمون باخفاء أصلهم الاسبانى فى عدد كبير من معارفهم وهذا شىء واضح ·

2) ثانيا تأتى المشكلة الثانية من مصادر ثقافية عديدة من الاسلام الاسبانى استطاعت ان تدخل فى اسبانية غير مباشرة بواسطة الاسبانيين ولكن بواسطة الشعوب الاخرى الشرقية التى استطاعت ان تبلغ نفس الافكار فى نطاق ثقافى يختلف عن النطاق الاسبانى · من الصعب أن نميز بين ما أورث الرومان للاسلام، خلال بيزنطة، أو خـلال المستعمرات الرومانية الاسبانية ·

ولكن هناك واقع ممتع لم يحلل حتى الآن تحليلا عميقا وبرغم ذلك يسلم به عند كل الناس · يسلم بان الثقافة الاسبانية الاسلامية لها طباع مميزة عن الثقافـة الاسلامية الشرقية · ومن الواجب أن نحلل الى أى مدى هذه الاختلافات الثقافية تأتى أو تصدر عن عامل مناخى ، أو بيئى سببه يتعلق بأناس لهم مزاج مختلف ·

ولو تركنا جانبا هذا الحادث الواضح وكل الناس يسلمون به لوجدنا حوادث أخرى أكيدة تسمح لنا بقبول تأثير ثقافى ما قبـل الاسـلام فى الثقافـة الاسلاميـة

الاسبانية • عدد كبير من هذه الحوادث جمعت فى مقالة قيمة ألفها السيد Claudio Sanchez Albornoz عنوانها « اسبانية قبل الاسلام واسبانية الاسلامية » •

قبل كل شيء،علينا ان نعترف فى اسبانية بوجود ثقافة تختلف عن الثقافة الشرقية ترجع الى رواسب ايبيرية • ولكن لو تركنا جانبا العامل الفطرى الايبيرى الذى هو أساس الثقافة الاسبانية القديمة لوجب الاعتراف بوجود المستعمرات اليونانية فى بلادنا،ووجود تأثير رومانى عميق فى كثير من الاماكن والمواقع والميادين التى سكنها العرب الذين وصلوا الى اسبانية ونهائيا وجود الحضارة المسيحية القوطية التى تعلق بها العرب مباشرة منذ وصولهم الى شبه الجزيرة• اكتشاف مصادر هذه الثقافة يبرز قيمتها أكثر فأكثر • فى هذه الايام بدئت دروس مقارنة بين الثقافة الاسبانية قبل الاسلام والثقافة العربية • وهذه الدراسة تكشف لنا مدى تأثير الاولى فى الثانية فى أمور كثيرة • ويظهر لنا اتفاق عجيب كبير وليس اتفاقا فحسب بل بينهم ترابط مباشر • وسكوت المصادر العربية ليس كثيرا كما زعموا ويخضع لاسباب تاريخية.وهذه الانتقالات غير صريحة دائما ولكنها لا تنكر ولو لم نستطع أن نوضح بدقة الطريقة الدقيقة التى تنقل بها •

علينا ان نعتبر الواقع وهو ان المسلمين الاولين الذين وصلوا الى الجزء الجنوبى الاسبانى لهم ثقافة غير قوية • فى البداية ثقافة الفطريين كانت أعلى ولقد عاشوا جميعا مدة قرون متقاربين متفاهمين •

عدد الشرقيين الواصلين الى شبه الجزيرة كان قليلا يتراوح بين عشرة آلاف و ثمانية عشر ألفا • هو جيش مكون من جزء كبيرمن البرابرة والمعتقين وبينهم عدد قليل من العرب وكان يوجد للمثقفين اماكن كثيرة فى عالم اللغة العربية حيث يستطيعون ان يذهبوا فى أمن أكثر، مما هم فى اسبانية • فان ميدان اللغة العربية كان ينتشر من الهند حتى وسط افريقية • ومن الممكن ان يقال انهم فى هذا المدى يجدون صعوبات للاقامة فى اسبانية في هذا المجال •

يدقق أكثر Sanchez Albornoz هذه الارقام فى مقالته المذكورة سابقا • سنة 740 أراد العرب اخضاع البرابرة • لذا كثر الشرقيون فى اسبانية من عشرة آلاف الى أثنى عشر ألفا سوريا بينهم ألفان من المعتقين • فى مدة أربعين سنة أقام فى الاندلس بعض الموالى الامويين من الاسرة المالكية فى دمشق الذين كانوا يهربون من العباسيين، يتراوح عددهم من 400 الى 500 • بالاضافة الى بعض الفنانين والمؤلفين والمنفيين السياسيين الذين جاءوا يقيمون فى الاندلس • ومجموع كل هؤلاء الواصلين أربعون ألفا ، وقد لا يتفقون ، لا يزيد على ثلاثين ألفا • وبهذا يثبت Peres ان العنصر العربى ليس الا قليلا جدا فى التكوين الاجتماعى للمسلمين الاسبانيين • (1)

والحقيقة أن البرابرة كانوا كثيرين جدا ولكنهم ليسوا شرقيين وليست لهم ثقافة أعلى من الاسبانيين • علينا ان نقول ان ثقافتهم كانت أقل من الاسبانيين • وكان الواصلون من المحاربين بدون ثقافة كبيرة •

ويلخص ذلك Sanchez Albornoz بهذه الكلمات :

« لذلك فالتأثير العربى فى الثقافة والعادات كان قليلا جدا خلال الفترات من الزمان فى اسبانية حيث العنصرية ، والحياة ، والثقافة ، كانت غربية » •

واسلم شبه الجزيرة بهدوء وفى حدود ناقصة اعتبارا من الحرية الدينية التى يتمتع بها الفطريون فلمدة قرون عاش سكان شبه الجزيرة كثيرا متوغلين فى الماضى قبل الاسلام •

التراث المقبول من العرب فيما يختص بالثقافة الاسبانية القوطية قبل الاسلام كان مختلفا ومتعدد الاشكال • نراقب اليوم أن هذه الثقافة نقلت لهذه المستويات •

اللغة : بالنسبة لهذه النقطة نجد موقفين متضادين : الاول وهو الاقدم سانده Martinez Marina Burriel, Mariana, Baist, Dozy الخ • كل هؤلاء المؤلفين يثبتون على وجه ما نجاح اللغة العربية كلغة عامة فى الاندلس واختفاء لغة المسيحيين •

(1) (Note 6, p. 130) « Les éléments ethniques de l'Espagne musulmane et la langue arabe aux V^e - XI^e siècles » Mémoire de Lévi-Provençal (1958). Cf. C. Sanchez Albornoz, Ib.

اما اليوم فالذين يساندون هذه النظرية انتهوا أمام وضوح الوقائع • ونقيض هذه النظرية هي التي تغلبت على الاولى •

من قبل، فى سنة 1898 كان Simonet قد سلم بمواصلة استعمال لغة « الرومان » (le roman) عند المستعربين حتى القرون الوسطى المتقدمة • وكان Rivera المؤلف الذى لا نستطيع ان نتهمه بحرب كلامية فى هذه النقطة يسلم بان كل الناس يستعملون لغة « الرومان » فى اسبانية الاسلامية : أى المسيحيون والذين اسلموا حتى المسلمون الشرقيون من سلالة اسبانية عن طريق امهاتهم• هذه اللغة يستفيد بها حتى قاضى قرطبة فى تطبيق الدعاوى القضائية • ويتحدث بهذه اللغة حتى فى مجلس الوزير •

فى القرن العاشر ، لغة «الرومان» كانت معروفة فى بلاط الخليفة كما يوجد عدد لا يستهان به من الاسبانيين الذين يجهلون العربية • فى عهد الحكم الثانى 961 ـ 976 كثير من سكان شبه الجزيرة قد وجدوا صعوبة كبيرة فى التعبير عن أنفسهم بالعربية • الجغرافية الشرقية للمقدسى (فى آخر القرن العاشر) تقول أن الاسبانيين يستفيدون باللغتين وكذلك فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر • لاحظ Asin Palacios فى كتاب فى علم النباتات ولا يعرف اسم مؤلفه أكثر من 700 عبارة باللغتين Las Harchas y Zejeles هو مثل ازدواجية • يتبنى نفس الموقف : Asin Palacios, Menendez Pidal, Levi-Provençal, Sanchez Albornoz, Garcia Gomez,Stern, Millas Vallicrosa, Corominas وكذلك أغلب المستشرقين

الموسيقى والشعر : أساسهما قبل الاسلام معترف به عند المتخصصين •

فن العمارة : فى مجال فن العمارة نستطيع ان نلاحظ أن تأثير ما قبل الاسلام معترف به عند Basilio Pavon, Balbas, Torres, Terrasse, Lambert, Gomez Moréno

فن النقش والنحت : تأثرت بتأثير اسبانى فيما يخص كثيرا من عناصرها فى تيجان الاعمدة وهذا معترف به عند : Basilio Pavon, Torres, Balbas, Garcia Ramos

كتابة التاريخ والجغرافية : فى الاولى جمعت وثائق لاتينية يعترف بها الجميع • بالنسبة للثانية فان Joaquin Valve, Asin Palacios ومتخصصين آخرين برهنوا على أن العرب كانوا خاضعين لاسبانية ما قبل الاسلام• ونفس الشىء نستطيع ان نقوله بالنسبة لميادين

المؤسسات السياسية الاجتماعية ، فى الحياة الاقتصادية وفى العادات • أردت ان أعرض فى بساطة بعض الامثال المعترف بها أو التى يعترف بها كل متخصص اليوم • هذه المراقبة تؤيدنا فى قبول الوقائع فى المجال الذى نهتم به أكثر الآن يعنى الفلسفة والعلوم •

الفلسفة والعلوم : فى اعمالى السابقة اعتبرت خاصة تأثير اسبانية ما قبل الاسلام فى الفلسفة الاسبانية الاسلامية • اذ كنت أدرس على الاخص مشكلة تصنيف العلوم عند ابن حزم :

(Note 8, p. 132) « Teoria y clasificacion de la ciencia segun Ibn Hazm », Actos del IX centenario de Aben Hazam. II Sesiones de Cultura Hispano-Musulmana (Cordoba 1963) 63-86 y tombien : « Las Artes Liberales y la Filosofia Hispano-Muslamana » Arts Libéraux et Philosophie au Moyen-Age. Actes du IV Congrès International de Philosophie Médiévale (Montréal 1969) 493-508.

أخذت ثانية فى دراسة ابن خلدون وأصل الى نفس النتائج فى الاندلس يختلف تصنيف العلوم عنه فى الشرق وله صلة خاصة بما يوجد فى اسبانية القوطية قبل الاسلام بحث Sanchez Albornoz عن تسلسل الوقائع التاريخية قبل الاسلام التى تبقى فى حالها اثناء سيطرة المسلمين وتستمر بعدها خلال كل سياق تاريخنا • هو طريق ممتلىء بتلقينات حيث توجد توافقات غريبة جدا وهذه التوافقات نستطيع ان نرضى بتأويلات خطيرة ذاتية •

أجد طريقا أكثر تأكدا حينما ابحث عن التوافقات الثقافية مثل التوافقات التى يجدها Sanchez Albornoz فى أعمال Asin Palacios لا نحتاج الى جهود كثيرة لنجد فى فكر ابن حزم أفكار مماثلة حتى فى شكل عباراته لافكار مواطنه • (1)

لا يعتقد Asin Palacios أن هذه المماثلة سببها ترابط حقيقى بين المفكر المسلم والتقليد الاسبانى من Asin Palacios يتفق Sanchez Albornoz باثبات Seneca ولكنه ما زال يترك بعض الاستفهامات فى هذا الموضوع • واعتقد انه قد حان الوقت لاضيف شيئا زائدا أكثر من توافق بسيط اعتبارا بالواقع أن الثقافتين عاشتا طويلا معا

(1) Kalimat fi-al-alkhlâq. Introd. p. XV, (nota 9 p. 132) Seneca

فى سلام · من الواجب ان نبحث عن نقاط التوافق لكى تعبر عن قوة معانيها ولو لم نستطع بعد ان نعرف بدقة النسبة الحقيقية التى تحدد التوافقات ·

لا أريد ان أنهى هذا الباب قبل أن اشير الى ملاحظة Cruz Hernandez حينما بحث عن تدقيق أصول الفلسفة فى اسبانية الاسلامية اذ قال : «كان المسلمون الفاتحون شبه الجزيرة معظمهم من البرابر الغير مثقفين ولكنهم شجعان وعدد قليل من العرب الذين وصلوا الى هنا أتوا من الشرق فى زمان يسبق الحرية الثقافية التى استوعبت الفلسفة اليونانية · أغلب السكان الفطريين بدأوا ينشرون العلم فى ميادين أكثر ضرورة وأقل تجريدا · خمسون سنة بعد الفتح ظهر الفقهاء والمؤرخون وبعد قليل ظهر اللغويون والادباء وعلماء الكلام · (1)

ملاحظة حادة أن العلوم التى يبدأ ظهورها هى التى استعملت فى اسبانية القوطية·

وأنا أتفق اتفاقا مطلقا مع ما قال Sanchez Albornoz فى آخر مقالته طبعا، ولو اعتبرنا بالاختلافات التى تفرق اسبانية الاسلامية عن الشرق العربى، هذه قبلت من الشرق الافكار الدينية والفلسفية،والاشكال الادبية والفنية والعلوم والتقنيات·كان الاسبانيون المسلمون يتميزون بالنسبة للمسلمين فى الاراضى الاخرى من العالم الاسلامى ولكنهم كانوا يعيشون تحت تأثير الثقافة الاسلامية ، أخذوا الابتكارات الروحية من الشرقيين ولكنهم حولوها وصاغوها من جديد بدورهم · كانت الاندلس تعيش فى احتكاك حربى وسلمى مع الغرب وهى جزء منه فى ميدان الجغرافية والحياة · علينا أن نتذكر من أقوال ابن حزم :

أنا الشمس فى أفق المعارف أشرقت ولكن ذنبى أن مشرقها الغرب

أو كما قال .

الاسلام الاسبانى نضج بعد كثير من القرون وورث جزءا من غرب ما قبل الاسلام تأثر بالغرب واثر فيه بنسبة الثقافة · (2)

بالنسبة للعلوم يبقى لنا عمل كبير للمستقبل · فى هذا الميدان مدرسة المستعربين من برشلونة تميزت بدراستها العلمية Millas Vallicrosa فى قائمة الكتب العربية Vernet

(1) Historia de la Filosofia Hispano-Musulmana, I, 210-11. (note 10 p. 133).
(2) Ib. 338 (note 2, p. 133)

فى دروسه العلمية و Samso فى إنتاجه الحديث الذى يبشر بخير عميم وقد بدأ نشره يظهر لنا أوجها ممتعة نرى فيها أن العرب جابهوا الثقافة الاسبانية ما قبل الاسلام • (note 12, p. 133) وفى احدى المقالات من المتخرجين من جامعة « Union Fraternal » de Comillas (الاتحاد الاخوى) نشرنا مقالة سنة 1971 نعرض فيها بعض هذه الاوجه • وعنوانها « سبب دراسة اللغـــة العربية » •

د) السنن العربية الشرقية

كل ما قلناه سابقا لا ينقص من قيمة التأثير الكبير للسنن الشرقية فى اسبانيــة الاسلامية • ازداد هذا التأثير أكثر فأكثر على قدر ما وصلت الى شبه جزيرتنا عناصر الثقافات الشرقية خاصة الثقافة اليونانية مستوعبة ومحولة عند مفكرى الشرق العربى •

كل اطارات الثقافة الشرقية تتكرر فى اسبانية الاسلامية • هذا الواقع له بعض الاسباب • أولا الفقهاء الذين يرافقون الحربيين حملوا الفكر الشرقى • ارستقراطيو الشرق الذين جاءوا الى شبه جزيرتنا أتوا بثقافتهم التى كان لها تأثير فى فكر المسلمين الاسبانيين المستعربين • مبكرا حدث انتقال من الاسبانيين الى الشرق ومن الشرقيين الى اسبانية • هذه الاسفار يدعمها الحج الى مكة • فى كل المسيرة تعود مفكرونا الاسبانيون العرب ان يسمعوا دروس العلماء الكبار الذين كانوا قد يلقونهم فى طريقهم فى المراكز الثقافية الاسلامية • وذلك يؤيد أيضا معرفة الشرقيين للثقافة الاسبانية • هذا المد والجزر أدى الى ابقاء الروح الفلسفى مزدهرا عند العلماء الاسبانيين المسلمين •

فى هذه النقطة اعتبر ـ كأساس ـ أعمال الدكتور محمود على مكى (note 13, p. 134) من كل ذلك نعمل عرضا فى تمهيد لقائمة الكتب عن مصادر الفلسفة الاسبانية الاسلامية فى آخر هذه المقالة » أيضا كل الجزء الاول من الاثر الكبير Cruz Hernandez « تاريــخ الفلسفة الاسبانية الاسلامية » امتلأت بمعلومات تظهر ما قبلته اسبانية الاسلامية من الثقافة الفلسفية الشرقية •

ولو كنا فى مقارنة لوجدنا الاسلام الاسبانى مدينا لثقافة ما قبل الاسلام فى بلادنا ونجده أيضا مدينا للثقافات الاسلامية، هذه الاخيرة لها المرتبة الاولى فى كل الميادين •

يحدث مع الثقافة الاسبانية قبل الاسلام شيء مماثل لما يحدث مع الثقافة المسيحية في القرون الوسطى . العلاقة بالثقافة اليونانية التي جعلت العرب يفكرون فيها ثانية هذه العلاقة تحتمل ازدهارا غريبا جدا فى ميدان العلوم الكنيسية حتى كان موضوع تعجب من كبار المفكرين المسيحيين الغربيين .

2 ـ نظرة اجمالية فيما يخص بالنزعات الفلسفية المختلفة فى اسبانية الاسلامية :

قلنا ان جميع اطارات الفلسفة الاسلامية الشرقية ازدهرت فى اسبانية الاسلامية . ولذلك فمن الملائم أن نعطى فى نظرة مقتضبة فكرة عامة للانواع المختلفة المستعملة فى الفلسفة الاسلامية الشرقية .

النزعات العامة حيث نستطيع ان نلخص كل الفلسفة الاسلامية ثلاثة : الفلسة اللاهوتية ، الفلسفة الصوفية ، الفلسفة الخالصة ، وهذه الاخيرة هى التى تسمى عادة فلسفة عند المسلمين .

نستطيع ان نقسم الفلسفة اللاهوتية الى قسمين : فلسفة المحافظين الضيقين وفلسفة المتكلمين . لا يكاد المحافظون الضيقون أن يسموا أنفسهم فلاسفة فهم لاهوتيون فقط ولهم مصلحة حقيقية فى مخالفتها لانهم يعتبرونها كخطر على عقيدة الشعب . ولكن مع ذلك نستطيع ان نقول انهم شاركوا بنوع ما فى كل سلوك الفلسفة فى الاسلام . **أولا** بسبب الحرب الكلامية التى أحدثوها بين العقيدة الاسلامية والفلسفات الوثنية . **ثانيا** لان من الصعب جدا التفريق بين الفلسفة واللاهوتية فان موضوعهما هو حل المشاكل الانسانية . الواقع ان تنتخب بعض المشاكل بدلا من الاخرى ، الاحتمال الذى تدرس بها هذه المشاكل وكثير من الاشياء ، كل ذلك مشروط بالمعالجة اللاهوتية عند العلماء المسلمين . ونفس الشيء يقع مع المؤلفين المسيحيين فى العصور القديمة والوسطى : من الصعب جدا التفريق بين ما يحتوى عليه الميدان اللاهوتى البحت وبين ما يحتمل ثقافة فلسفية كوسيلة تعتمد عليها اللاهوتية .

المتكلمون أو المدافعون عن الكلام فى الحرب الكلامية تقدموا حقيقة فى ميـــدان الفلسفة - أولا لانهم يريدون حقيقة ان يستفيدوا بالفلسفة ليدافعوا عن اللاهوتية .

ثانيا لانهم يحتاجون الى تعقل الفكرة الدينية . لذلك يقبلون كل ما لا يخالف الوحى وحجتهم أنهم لا يحبون أن يبتعدوا عن كل الآخرين ولو كانوا من دين آخر، أولئك الذين يقدمون مجموعة حقائق انسانية تستطيع ان تغنى مدافعيها .

انقسم هؤلاء المتكلمون الى قسمين : أولا المعتزلة وهم الاقدمون بين اللاهوتيين المسلمين ويمثلون الفريق الاقرب الى الفلاسفة الخالصين . وثانيا أهل السنة من الاشاعرة يظهر لهم أن تصرف المعتزلة خطير جدا ويقومون بمحاولة رد فعل ضدهم . فى مشكلة الحرية الانسانية يظنون أن الله قادر على كل شىء ويحتملون أن حرية الانسان تقف أمام كلية قدرة الله . يحتلون مكانا متوسطا بين المحافظين الضيقين والمعتزلـة .

النزعة الثانية فى الفلسفة الاسلامية هى التصوف . فى هذه النزعة نجد النزعتين مـن الشيعـة (Como el de Alamût y la del sufismo Tonto el duadecimano y elseptimono)

وأخيرا النزعة الثالثة وهى الفلسفة الخالصة . فى هذه علينا أن نعتبر أنواعا مختلفة. حتى الآن كان قد تدرس فلسفة ارسطو والافلاطونية الجديدة واليوم يعطى مكان كبير للرواقية حتى أن بعض المؤلفين يقدرون ان الروافية تمثل فى الفلسفة الاسلامية نفس الاهمية التى لفلسفة ارسطو والافلاطونية الجديدة . على هذه النزعة الرواقية كنت نشرت دراسة بعنوان :

(Note 14, p. 136) « Influence du stoïcisme dans la philosophie musulmane », V[e] Congrès International d'Arabisants et d'Islamisants. Actes (Bruxelles 1970) 239-54.

لابد من ان يشكل فريق خاص مع النزعة العلمية وعلم الكون . وأخيرا علينا ان نعتبر فى الفلسفة الخالصة نزعة خاصة نستطيع ان نسميها تسمية شاملة : للتاريخ والنحو ، وعلم الاجتماع .

كل هذه أنواع الفلسفة الشرقية تمثل ثانية كاملة فى اسبانية الاسلامية . سنعطى بالاختصار فكرة عـن كل واحـدة .

الفلسفــة اللاهوتية :

نستطيع أن نثبت بدون شك أن ما وجد أولا فى بلادنا هو المدارس الفقهية ، وقد قلنا سابقــا ان المــذهب المالكى كان هو المسيطر فى الاوساط الفقهية الاسبانية. المعارك السياسية التى تكثر فى هذه الازمنة استطاعت أن تؤيد تعدد المذاهب اللاهوتية فى اسبانية لو لم يكن اتحاد المذاهب الذى حققه عبد الرحمن بن معاوية يمنع هذا التحقق .

الاسلام الاسبانى مدين لهذا الامير وصواب رأيه فقد عاش المسلمون فى سلامة حقيقية أكثر بقية الشعوب الاسلامية . وهذا لاسباب مختلفة . أولا الحذر الـذى نستطيع أن نسميه بالفاظ غربية الاكليروس وصواب المنهج المالكى واستقامة رأى المالكية اعنى الفقهاء . ثانيا تأييد الدولة . عذه لا تستطيع أن تقبل أية بدعة تأتى من الخارج . والا ترتب على ذلك عواقب تزيد الخلافات بين الامويين من قرطبة والعباسيين من بغــداد .

ولكن الاتصالات بالمسلمين الشرقيين كان لا يمكن تجنبها . مقتضيان التجارة والحج كانت وسيلة لانتقالات ضرورية للافكار وللكتب التى تأتى من العلماء الشرقيين .

نستطيع ان نقول ان تاريخ الافكار للحركة التقليدية فى اسبانية لم تكتب بعد . ونستطيع ان نجد عناصر كثيرة عند المصلحين المدافعين عن الـديـن Apologetas p. 136 ونستطيع ان نجد معاونة أهمية كبيرة Asin Palacios خاصة عند ابن حزم . فى آثار فى هذا الموضوع .

اعطانا Cruz Hernandez بعض اسماء ممثلى أهم التيارات الفلسفية لاقدم المسلمين فى اسبانيا . فالفقهاء يمثلون التقليديين الضيقين .

وقد كان المعتزلة منتشرين كثيرا فى اسبانية بين المتكلمين ، ضحوا كثيرا فى سبيل المحافظة على عقيدتهم الاعتزالية ، مبكرا دخلت أيضا العقائد الباطنية وتكون جو يوجد فى المدارس الزهدية سمح تدريجيا لما جاء بعد من العقائد السرية فى المذاهب الصوفية غير المستقيمة الرأى، ومع الميول الصوفية بدأ فى اسبانية تذوق العلوم الشرقية . وقديما اشتهر فى بلادنا علماء مشهورون شاركوا مشاكة كبيرة فى اظهار العلــوم الاسلامية فى أوروبا الغربية .

فى هذا المجال الخاص بالفلسفة اللاهوتية فانا اتجرأ على ان اقول : فى الميدان الكامل الذى يختص بتاريخ الفلسفة الاسبانية الاسلامية يكاد يبدأ عمل البحث • تاريخ الفلسفة الاسبانية الاسلاميةCruz Hernandezهو أحسن تلخيص يوجد حتى الآن بين كل ما نشر عن هذا الموضوع • ولكن لا يوجد أى كتاب يشتمل على كل الحقيقة عن هؤلاء الاشخاص ، وزيادة عن ذلك توجد مؤلفات ألفها هؤلاء الاشخاص بقيت غير مطبوعة وهى تمثل لنا صورة كاملة لنظرياتهم ولكن تنقصنا حتى الآن الدراسات اللازمة – ولو واحدة – للموضوعات التى تعيننا فى معرفة أصول المذاهب الفلسفية المختلفة فى بلادنا والتيارات الفكرية الثانويه حيث وجد الاشخاص الكبار مصادرهم •

لنستطيع أن نحدد هذه التيارات الفلسفية علينا ان نستعمل القواميس الخاصة بمصادر ومراجع أغلبها غير مطبوعة ولم تكتب الا باللغة العربية • حتى القواميس التى ترجمت لم تستغل بعد استغلالا ملائما ليستخرج منها كل المعطيات التى تستطيع ان تقدم الينا فى موضوع الفلسفة والفلاسفة الاسبانية الاسلامية • جزء كبير من المواد الضرورية لهذا العمل علينا ان نبحث عنها كما قلنا سابقا عند المدافعين عن الدين •

اذ ان هذه المسألة أمامها عوائق كثيرة لا نستطيع ماديا ان نعطى فكرة ولو قصيرة لتطبيق هذا العمل • لهذا السبب فان المختصين الكبيرين بهذا الموضوع Asin Palacios و P. Alonso, لم يجرؤا ان يؤلفا ملخصا يستطيع ان يلخص تاريخ الفلسفة الاسبانية الاسلامية • هذا العمل يحتاج الى تكوين فروق للبحث ليجمعوا المعطيات التاريخية الموجودةفىهذه القواميس عند المدافعين عن الدين والمؤرخين العربفىاسبانية الاسلامية. بالمقارنة بين هذه المصادر نستطيع ان نفرق بين الاكيد والمشكوك فيه • من الواجب أيضا ان نبحث بعمق فى المحفوظات القديمة حيث توجد الكنوز العربية التى تستطيع ان تخصص لنا مفاجآت كبيرة • علينا أيضا ان نعد نشرات نقدية لكل هذه المصادر لكى نستطيع ان نحقق ملخصا تاريخيا للفلسفة الاسبانية الاسلامية •

لننتهي من هذا الوصف العام اقدم اليكم تلخيصا صغيرا لاهم الفلاسفة فى اسبانية الاسلامية • يجب ان نبدأ بالتدليل على اننا لا نجد بينهم أحدا يدخل فى تصنيف التيارات الفلسفية اليونانية • لن نجد حقيقة أى مؤلف تبنى مطلقا طريق ارسطو

وافلاطون والرواقية • ونقول فى ذلك ان التصنيف الذى نقدمه اليكم من الفلاسفة فى اسبانية الاسلامية فى النطاق العام يختص بالتيارات الفلسفية الاسلامية المختلفة ليس على الاطلاق • وانما نعين الفلاسفة الاسبانيين الذين عبروا عن افكارهم بالعربية حسب أهميتهم فى تعليمهم •

أهم الشخصيات فى المدرسة الفلسفية اللاهوتية هو ابن حزم (994 م ـ 384 هـ ، 1063 م ـ 456 هـ) •

فى المدرسة الصوفية من الصعب ان نميز بين ما هو شيعى أو صوفى عند الصوفيين المسلمين الاسبانيين • ومن الصعب أيضا ان ندقق ميلا افلاطونيا بحتا جديدا • نستطيع أن نقول ان أكبر متعة عند هؤلاء الصوفيين المسلمين هو العلاقة مع الافلاطونيـــة الجديـــدة •

وجدنا من الانفع ان نضع قسمين كبيرين عامـين : الفلسفة الصوفية والفلسفة البحتة• فانه حتى فى الفلسفة البحتة ليس من السهل التمييز بين الميول الثلاثة المهمة : الارسطوطلية والافلاطونية والرواقية • لذلك سنجمع فى نفس القسم الصوفيـــة والافلاطونية الجديدة وفى قسم الفلسفة البحتة سنجمع كل هذه الميول المختلفة •

فى ميدان الصوفية أشهر المؤنفين هم : Inb Masarra (269 - 319) 883 - 931

ومدرسة
Ibn Arabi (560 - 638) 1164 - 1240,
Ibn Al-Arif de Alméria (481 - 536) 1088 - 1141, Pechina de Murcia,
Ibn Saba'in 1270/669) de Murcia.

فى ميدان الفلسفة البحتة نشير فقط الى المشهورين وهم :

Ibn Al-Sid 444/1502 - 521/1127) de Badajoz, Abu Salt (469/1067 - 529/1134 de Denia, Avempace (1070/553 - 1138), Ibn Tufayl (1110-580/1185), Ibn Rochd (520/1126 - 592/1198). Ibn Tumlus (1175-620/1223) de Alcira.

فى الفلسفة البحتة زيادة عن الفلاسفة الارسطوطليين ـ الافلاطونيين الجدد حيث علينا ان نلاحظ كثيرا من الافكار الرواقية من الواجب أن نشير أيضا الى تيار له قوة كبيرة فى اسبانية الاسلامية ويكون فما بعد واحدا من أقوى المثيرات يجتــذب الى اسبانية البحث عن العلم العربى عند المفكرين الغربيين خاصة عند المدرسيين (Sholastiques). وهذا هو التيار العلمى حيث تختلط معارف التنجيم والكيمياء القديمة والفلك والطب

والفلسفة • أظهر Cruz Hernandez في تاريخه الذى يختص بالفلسفة الاسبانية الاسلامية أهم الاتجاهات فى هذا التيار العلمى(note 15, p. 138) L.C., I, 209-220) أشهر الممثلين هم : أبو القاسم مسلمة من مدريد ر395هـ/1004م ـ 398هـ/1007م) • الطبيب والفلكى الشهير من غرناطة Asbay C. M. Al-Samh (+ 426/1035 والرياضى والفلكى الشهير من قرطبة أبو اسحق النقاس بن الزرقالة معروف فى الغرب باسمه : Azarquiel (+ 493/1100).

فى نهاية فى قسم الفلسفة البحتة علينا أن نشير أيضا الى التيار الذى سميناه سابقا تيار تاريخى نحوى اجتماعى • هذه هى الثلاث نقاط البارزة التى يتميز بها أسلوب خاص للفلسفة • التاريخ يؤلف قوام هذه العناصر الثلاثة بحيث نستطيع أن نطلق عليه اسم فلسفة التاريخ لا تاريخ الفلسفة • النحو يلعب أيضا دورا مهما فى هذا الاسلوب للفلسفة وختاما علينا أيضا أن نتكلم عن علم اجتماعى لانه يحتوى على دراسة العناصر التاريخية الثابتة فيما يخص الطبيعة الانسانية ليكتشف فيها اندفاعة الحياة التى توقع أكبر الحوادث فى البشرية • واختصارا نستطيع أن نقول عن التاريخ وعن النحو وعن العلم الاجتماعى انها تخدم الفلسفة لتصل الى ما وراء الطبيعة فى الاشياء • فى الاسلام الاسبانى أهم ممثلى هذا الاتجاه كان ابن حزم وقد تكلمنا عنه سابقا، وابن خلدون (1332م/732هـ ـ 1406م/808هـ) • هذا الاخير ولو لم يولد فى اسبانية فانه يستطيع ان يعتبر كخاتم ذهبى يختم كل الثقافة الاسبانية الاسلامية • اذ أن سلالته الاسبانية جعلت كل مصادر علمه خاصة فى فلسفة التاريخ أتت من اسبانية الاسلامية •

مشروع لنشر آثار ابن رشد

سنقول كلمة عن مشروع لنشر آثار ابن رشد،بدأ تحقيقه كمثل علينا ان نحققه لكل الفلاسفة ولكل تيارات الفلسفة الاسبانية الاسلامية • فكرة هذا المشروع أتت من الاستاذ Miguel Cruz Hernandez كاتب المجلس العالى للابحاث العلمية Consejo Superior Investigaciones Cientificas أعطى لهذا المشروع الدفعة الاساسية واكتسب مساعدة لتحقيق هذا المشروع من اللجنة المساعدة للبحث العلمى والتقنى Comision a sesora de investigacion cientifica y tecnica للمؤتمر الدولى لفلسفة القرون الوسطى الذى تم احتفاله فى اسبانية فى أيلول سنة 1972 يقدم لنا الفرصة لبدء هذا العمل •

بدأ العمل لاتحاد كل المشاريع التى توجد حالا لنشر آثار ابن رشد · الخطوات الاولى فى تحقيق هذا المشروع لقيت قبولا مناسبا فى المنظمات المذكورة ·

يحتمل المشروع بعض الاقسام والبعض منها متقدم فى العمل · بدأ تحقيق آثار ابن رشد مع لائحة كاملة لمصادره ومراجعه · عين من قبل مكان كل منشوراته الموجودة وتبذل كل الجهود الممكنة لاكتسابها ولتكوين مكتبة بآثاره كاملة على قدر الامكان ·

ربما كان الاصعب هو تعيين موضع مخطاطات ابن رشد · فى هذا المجال حققنا كل قوائم المخطوطات العربية الموجودة فى العالم · وسنعمل نفس الشىء مع المخطوطات العبرانية وسنستمر فى هذا العمل مع التراجم اللاتينية لنفس المؤلف ·

بدأ العمل لاكتساب كل هذه المخطوطات العربية وهذه التراجم العبرانية أو اللاتينية · ان آنسة Maria J. Conzalez Haba نفذت قبلا أعمالها لتحقيق تعيين اماكن المخطوطات المذكورة فى بلدان أوروبا الوسطى وفى الامم الاشتراكية وبدئى فى اكتسابها · وقدم Sr. Latham بيانا بكل ما يوجد فى بريطانيا العظمى وفى أيرلندا ·

فيما يخص اكتساب كل هذه المواد فبلنا تقديما مشكورا من الافلام المصغرة للمخطوطات الموجودة فى أهم المحفوظات لجامعة الدول العربية فى القاهرة · جمعنا قبلا كل المخطوطات الموجودة فى اسبانية ·

تجولنا شخصيا لبنان سوريا العراق مصر المغرب والجزائر لقصد نقل المخطوطات المحفوظة فى هذه البلدان · نرجو تقريبا ان نقصد أيضا ما يوجد منها فى المكتبة الكبيرة فى Leyden وفى مكاتب فرنسا (فى باريس خاصة) وفى مكاتب البلدان الاخرى كلها · من تونس ومن روما بالخصوص ·

غاية المشروع هى نشر كل آثار ابن رشد فى مجموعة واحدة · ولكيلا نوزع جهودنا نطلب ان تدمج فى هذا المشروع منشورات آثار لابن رشد طبعت قبلا أو تكاد تطبع · يجب فى هذه المجموعة الكبيرة ان تحتوى على طبعة محققة ومعلق عليها فيما يخص النص الاصلى العربى ، التراجم العبرانية أو اللاتينية من القرون الوسطى ونهائيا ترجمة اسبانية لكل هذه الآثار ·

العمل صعب ولكننا نقدر أن الخدمة المؤدية لتاريخ الفلسفة الاسبانية الاسلامية ستكون كبيرة جدا ٠

ما نفعله مع ابن رشد يجب ان يكون مع كل الفلاسفة المسلمين الاسبانيين ٠ ولهذا يجب تكوين جماعة، لان شخصا واحدا لا يكفي لهذا العمل، وعلى هذه الجماعة أن تعمل لاعداد أحسن الطبعات الممكنة مع تراجم باللغات الاوروبية ٠ وفي المقدمة تحقيق المحفوظات الموجودة خاصة في البلدان العربية ٠ متى زرنا هذه المكاتب راقبنا هذه الكنوز الثمينة جدا التي تحافظ عليها ٠ ويكون من الممتع أن تهيىء الفرصة لكي تفتح المكاتب الخاصة أيضا لعامة الناس كنوزها مع قوائم الكتب الجدية ليستفاد منها ٠ بعد تحقيق هذا العمل الاساسي يستطاع أن نبدأ تأليف مجمل تاريخي للفلسفة الاسبانية الاسلامية ٠

لائحة أهم المصادر للفلسفة الاسبانية الاسلامية

سنقصد نشر في دراسات فردية خاصة، وأكمل ما يمكن قائمة بالمصادر والمراجع لكل الفلاسفة الاسبانيين المسلمين، والآن نرى انه من الفائدة أن نعرف العناصر العامة٠ للائحة المصادر والمراجع التي نمهد لمصادر هذه الفلسفة ٠

لا ندعي اننا استوفينا الموضوع ومن الافضل ان نقدم لمحة عن لائحة المصادر لنعين الاشخاص الغير المتخصصين وأيضا المتخصصين الذين يرغبون في اتجاه نحو بحث أعمق عن المفاهيم الفلسفية الاسبانية الاسلامية ٠ لاننا لا نستطيع أن نقدم لائحة المصادر كاملة وهذا هدف لعمل مستقبل يؤمل ان يحقق لكل الفلاسفة الاسبانيين المسلمين ٠

نرغب أيضا في ان نخبر قراءنا أن المعهد الاسباني العربي للثقافة يكاد يعد مجموعة من البطاقات في حلقة دراسية خاصة للفلسفة عن الفلاسفة الاسبانيين المسلمين ٠ تكون المصدر الاول للمراجع والمصادر الذي سيوضع تحت تصرف الذين يريدون ٠

1 ـ مؤلفات عامة

زيادة عن قواميس ودوائر المعارف عامة نظنها معروفة عند قرائنا أريد ان أشير الى اثنتين تتناسبان بصفة خاصة مع الفلسفة الاسبانية الاسلامية •

— Encyclopédie de l'Islam

فهى مترجمة بالانقليزية ومنشورة من جديد تكاد تطبع بدأت فى عام 1954 :
تكمل المنشورة السابقة بشىء ما وبعض مقالاتها جديدة تماما ; (Leiden 1913 - 1938)

— Shorter Encyclopaedia of Islam (Leiden 1953).

— T. Zamarriego, Enciclopedia de orientacion bibliografica.

أربعة مجلدات • ما يخص الفلسفة وخاصة الفلسفة الاسلامية يوجد فى المجلد الثانى • لا يتكلم الا عن الاشخاص الكبار وفى اطار لمنتخب ضيق الى (Barcelone 1964) حد ما للائحة المصادر والمراجع • وكل بطاقة المراجع والمصادر معها تقدير خاص •

لتعيين موضع المخطوطات لابد ان نتوجه الى بحث عن الفهارس التى تصفها • على هذا الوجه الكتاب الاساسى هو :

— A. J. W. Huisman, Les manuscrits arabes dans le monde. Une bibliographie des catalogues (Leyden 1967).

فيما يخص المخطوطات من الممتع خاصة ان نراجع :

— C. Brockelmann, Geschichte der arabischen Litteratur. 5 vol. (Leiden 1943).

— F. Sezgin, Geschichte des arabischen Schriftams (Leiden 1967).

ظهرت قبلا ثلاثة مجلدات • هذا الكتاب احد الكتب الهامة التى تظهر الآن لمعرفة المصادر • فيه فائدة للمخطوطات وللفهارس •

— M. Steinschneider.

لكيلا نثقل لائحة المصادر والمراجع بكل هذه الكتب التى توجد فى أى مكتبة من المكاتب المتخصصة فى المواضع الاسلامية لا نشير الا الى هذا المؤلف كأساس لتعيين موضع المخطوطات العربية اليهودية والعبرانية ولمعرفة التراجم •

ومن الكتب العامة التى تهتم بالفلسفة الاسبانية الاسلامية يجب ان نشير الى الكتب الآتية :

— P. J. De Menasce, Bibliographische Einführungen in das Studium der Philosophie herausgegeben von I. M. Bocheurki. 6 Arabische Philosophie (Bern 1948).

هذا الكتاب هو واحد من لائحة المصادر والمراجع الكاملة والجادة .

— F. M. Pareja, Islamologio (Madrid 1954). 2 vols.

كتاب عام ولكن فى آخر كل باب لائحة المصادر والمراجع تجذب اهتمام القراء

— Th. Arnold y A. Guillaume, El legado del Islam (The legacy of Islam).

نقل من الانجليزية E. de Tapia (Madrid 1944) الابواب المتكرسة للفلسفة والمواد مثلها هى ممتعة جدا .

— R. Walzer. Greek into Arabic. Essays into Islamic Philosophy (Oxford 1963).

فى هذا الكتاب كله مراجع كثيرة عن الفلسفة الاسبانية الاسلامية . كل ما نشره هذا المؤلف ذو قيمة كبيرة . يجب ان نعتبر بكل منشوراته .

— G.E. V. Grunebaum.

احد المؤلفين الذين نستفيد من معرفته . كل كتبه ممتعة وخاصة :

Medieval Islam. A Study in cultural orientation (Chicago 1954), y Logic in classical Islamic culture (Wiesbalen 1970).

ها هم مؤلفون آخرون يحسن ان نعرفهم :

— M. Watt, Ahistory of Islamic Spain (New-York 1968).

له كتب أخرى تتوفر فى المكاتب المتخصصة . وأيضا

— R. Brunschvig.

للمقارنة بين الفلسفة اليونانية والعربية .

— A. Müller, Die griechischen Philosophie and die arabische Ueberliferung (Halle, s. f.).

كل المجلات المتخصصة فى الدروس العربية مهمة بنسبة موضوعنا ، التى لها صلة بالفلسفة الاسبانية الاسلامية هى :

— Al-Andalus, Madrid.
— Miscelanea de Estudios Arabes y Hebreos, Granada.
— Pensamiento, Madrid.
— Revista del Instituto Egipcio de Estudios Islamicos, Madrid.
— Mélanges de la Faculté Orientale de l'Université de St Joseph de Beyrouth. Beirut.
— Mélanges de l'Institut Dominicain d'Etudes Orientales, El Cairo.

2 ـ تواريخ عامة عن الفلسفة تقدر بها الاوجه الاسلامية

— G. Fraile, Historia de la Filosofia, II. Judaismo, Cristianismo, Islam (Mdrid 1959-66).

له معيار نظامى أكثر من معيار ناريخى ولا يستفيد مباشرة المصادر • كتلخيص أعمال الغربيين مقبول •

— F. Uberweg, Grundriss der Geschichte der Philosophie, II (1928).

كتاب المراجعة الاساسى للتمهيد • توجد خاصة مصادر سهلة المنال للغربيين •

3 ـ تواريخ عامة للفلسفة الاسلامية

لها صفات عامة ولكنها تكتسب أشياء لها أهمية عن الفلسفة الاسبانية الاسلامية وخاصة عن أهم الاشخاص • الكتب الاساسية هى :

— S. Munk, Mélanges de Philosophie juive et arabe (Paris 1927).

هو قديم قليلا ولكنه يستفاد منه المصادر الخاصة فى تراجمه العبرانية • دراسته تحتفظ بقيمتها حتى اليوم •

— M. M. Sharif, A History of Muslim Philosophy, 2 vol. (Wiesbaden 1963 - 1966).

هو تاريخ على أساس دراسات وحدية معدة عند المتخصصين • ليس لكلها نفس القيمة ولكنها على العموم دراسات لا بأس بها •

— H. Corbin, Histoire de la Philosophie Islamique I (Paris 1964).

له أهمية كبيرة لان هذا التاريخ مأخوذ من الاسلام • يبرز بالخصوص ان الفلسفة الاسلامية مدينة للثقافة الايرانية •

— M. Fakhry, A History of Islamic Philosophy (New-York - Londres 1970).

يكرس بابا للفلسفة الاسلامية فى اسبانية خاصة لابن رشد •

— T.J. De Boer, The History of Philosophy in Islam (Geschichte der Philosophie in Islam 1901)
ترجم New-York 1967 - E°R. Jones.

يحتوى على دراسات كثير من المؤلفين الاسبانيين المسلمين • وبرغم انه قديم فانه يحتفظ بقيمته حتى اليوم ولذلك يترجم •

— M. Horten, Die Philosophie des Islam in ihren Beziehungen zu den philosophischen Weltanschaungen des westlichen Orients (München 1924).

الجزء الاخير منه نوقش بعد ولابد ان يراجع ولكنه دراسات جدية •

— G. G. Quadri, La philosophie arabe dans l'Europe médiévale des origines à Averroës. (Paris 1967) Roland Huret. ترجم

— Le filosofia degli Arabi nel suo fiore. I Dalle origini fino a Averroe ; II Il pensiero filosofico di Averroe (Firenze 1939).

1) من الاصول الى ابن رشد ·

2) الفكر الفلسفى لابن رشد · هذا التاريخ يهم اجيالا كثيرة ولكن يخطىء عند ما يظن ان الفلسفة العربية تنتهى فعلا مع ابن رشد ·

— A. Schmoelders, Documenta Philosophiae Arabum (Bonn 1836).

— Essai sur les écoles philosophiques chez les Arabes (Paris 1842).

هذه الكتب برغم انها قديمة فانها تستحق ان تعتبر حتى فى أيامنا هذه ·

4 ـ تواريخ خاصة للفلسفة الاسبانية الاسلامية

لا يوجد الا الكتابان الآتيان :

— M. Cruz Hernandez, Historia de la Filosophia Sspanola. Filosofia Hispano-Musulmana (Madrid 1957), 2 vols.

وحتى الآن هو أحسن ما كتب · زيادة عن ابحاث المؤلف نفسه يستفاد من أعمال Asin Palacios كتلخيص لكل ما يوجد يكون كاملا تقريبا · لابد من ان نلحق ـ متتالية ـ كل الاعمال التى تصنع حسب الاتجاهات التى رأيناها فى الاوراق السابقة ·

— M. Cruz Hernandez, La Filosophia Arabe (Madrid 1963).

هو تلخيص مجلدين موصوفين سابقا مع عناصر جديدة وامتداد للتاريخ حتى أيامنا هذه فى مجمل التاريخ للفلسفة العربية بصفة عامة ·

5 ـ دراسات خاصة عن الفلسفة الاسبانية الاسلامية

فانها موزعة فى كثير مما كتب : Asin Palacios أثمنها بدون شك دراسات كتب ، مقالات فى كثير من المجلات · لائحة مصادر ومراجع تلزم لعدة صفحات ولكننا والحمد لله نكسب لائحة مصادر ومراجع لـ Asin Palacios D. Emilio Garcia Gomez فى مجلة مدرسة الدروس العربية : الاندلس ·

— E. Garcia Gomez, Esquema de una bibliografia de Miguel Asin Palacios.

مخطط لائحة المصادر والمراجع لـ
Al-Andalus 9 (1944) 267-93. Asin Palacios

باحث كبير آخر هو Manuel Alonso كل قائمة مصادره ومراجعه ـ حتى ولو لم تنشر ـ جمعت فى كتاب ظهر اكراما له فى ذكرى وفاته ·

— S. Gomez Nogales, « Bio-Bibliografia del P. M. Alonso », Pensamiento 25 (1969).

توجد بعض أسماء اساسية ولابد من ان تعتبر فى أى لائحة المصادر والمراجع عن دراسة للفلسفة الاسبانية الاسلامية ·

— M. De Bouyges.
— M. Cruz Hernandez.
— D. Cabanelas.
— A. Cortabarria.

نشرت فى مقالة من المجلات الاخيرة Mideo للادباء الدومنكيين فى القاهرة « الحالة الراهنة عن الدروس العربية فى اسبانية » · هذا هو عمل سابق ظهر فى Santander سنــة 1968 ·

بالنسبة الى الفلسفة الاسبانية العربية نفسها نشرنا مقالة نقدر انها ممتعة ·

— S. Gomez Nogales, « Situacion actual de las investigaciones sobre filosofia musulmana en Espana. Dialogo Ecuménico 8 (1967) 377-88.

« موقف راهن عن ابحاث فى الفلسفة الاسلامية فى اسبانيــــة لـ Gomez Nogales

يوجد تلخيص كل ما نشرنا عن الفلسفة الاسبانية الاسلامية ويستطيع ان يشار اليه فى أول كتابنا :

— La filosofia musulmana y su influjo determinante en el pensamiento medieval occidental. (Estado actual de la polémica) (Madrid 1969).

عثمان الكعاك يترجم هذا الكتاب ويكاد ينشر فى تونس فى الـدار التونسيـة للنشر · (M. T. E.)

قائمة المصادر والمراجع هذه تصل الى سنة 1968 ومن بعد ذلك نشرنا بعض مقالات فى مجلات متخصصة ·

يوجد كتاب ظهر حديثا ونعتقد أن له أهمية كبيرة للفلسفة الاسبانية الاسلاميـة خاصة فى ناحية الفقه وفى تأثير الاسلام الشرقى فى وطننا :

— M. A. Makki, Ensayo sobre las aportaciones orientales en la Espana Musulmana y su influencia en la formacion de la cultura hispano-arabe (Mdrid 1968).

وهذا الكتاب فريد فى نوعه وفيه فوائد كبيرة للدولة على المصادر ٠

دراسة أخرى عامة رسمت بطريقة خارقة للعادة الاطار التاريخى للفلسفة الاسبانية الاسلامية هى الآتية :

— C. Sanchez Albornoz « Espagne pré-islamique et Espagne musulmane ». Revue historique 237, 2 (1967) 295-338.

بصفة عامة كل كتب لـ D. Claudio خليقة أن تعتبر للبيئة التاريخية فى هـذه المـــادة ٠

6 ـ كتب عن اللاهوتية الاسبانية الاسلامية

فى الاسلام لا تنفصل اللاهوتية عن الفلسفة ٠ ويلزم لدراسة الفلسفة ان نعتبر باللاهوتية ٠

يستطيع القارىء ان يجد لائحة المصادر والمراجع فى :

— M. De Epalza « Bibliografia genetal arabe e islamica en Espana (1960-64). Boletin de la Asociacion Espanola de Orientalistas 2 (1966) 131-76.

هذه اللائحة جيدة من وجهة النظر الدينية ٠

هذه الكتب الآتية أساسية فى هذا الموضوع :

— L. Gardet et G. Anawati, Introduction à la théologie musulmane (Paris 1948).

هذا الكتاب كمثال نستطيع ان نأخذه كسلوك فلسفى من كتاب لاهوتى ٠

هذه العلاقات بين الفلسفة واللاهوتية الاسلامية نستطيع ان نراها فى كتاب :

— M. Horten, Die philosophischen Système der spekultiven theologen im Islam nach original quellen dargestellt (Bonn 1912).

ونفس شىء نقوله عن :

— M. S. Seale, Muslim Theology (London 1964).

يستطيع بعضهم أن يناقشوا العنوان الذى أعطاه P. ALONSO لنشر بعض آثـار ابن رشد ٠ هكذا يثبتون أطروحتنا بالعكس : فى آثار فيلسوف بحث فى الاسلام رؤيته اللاهوتية لا تعيب :

— M. Alonso, Teologia de Averroes. Estudios y Documentos (Madrid - Granada 1947).

٧ ـ كتب عن التصوف الاسبانى الاسلامى ·

وقد يكون العنوان غريبا على الغربيين · وكان يظهر على هذه الكتب أنها لا تنتظم فى اللاهوتية ولا فى الفلسفة · ولكن المتصوفين العرب يقدمون رؤيتهم الفلسفية فى آثارهم الصوفية وليس من السهل أن ترى الفرق بين كيف يعالج المواضع المتصوفون المسلمون وكيف تطرح نفس الاسئلة الفلسفة اليونانية مثلا الافلاطونية الجديدة ·

بصدد ذلك يجب أن يذكر هنا كل كتب لـ Asin Palacios على الاقل كتاب من أهمها هو :

— M. Asin Palacios, El Islam Cristianizado. Estudio del sufsmo a través de las obras de Abenarabi de Murcia (Madrid 1931).

ترجم عبد الرحمن البادوى هذا الكتاب : ابن عربى ، القاهرة 1959 ·

كلاسيكى آخر فى هذا الموضوع هو L. Massignon برغم أن تخصصه هو المتصوفون الشرقيون غالبـا. ففى كتبه مراجع مهمة لمؤلفين اسبانيين · بنظريته العامة عن التصوف الاسلامى يمثل وضعا يختلف قليلا عن وضع Asin Palacios يعتقد هو أن التصوف الاسلامى تأثر بالتصوف المسيحى بينما Massignon يعتقد أنـه نتيجة التأمل الداخلى فى نصوص القرآن · فى بعض الوجوه Massignon يكمل Asin Palacios مثلما فى اللاهوتية لنا كتاب جيد عن التصوف الاسلامى ·

— C. G. Anawati et L. Gardet, Mystique Musulmane (Paris 1961).

واحد الكلاسيكيين فى التصوف هو :

— J. Maréchal, Etudes sur la psychologie des mystiques. 2 vols. (Paris 1937).

له باب ممتع جدا عن التصوف الاسلامى يفيد التصوف الاسبانى فيما يخص قيمتـه العامة كقيمة دراسة المؤلفين ·

يوجد مؤلف قارن مقارنة ملهمة بين التصوف الاسلامى وفكر الفلسفة الشرقية · قوام هذه المقارنة قدمه اليه الاسبانى ابن عربى · الكتاب الذى يلخص نتائج المقارنة هـو :

— T. Izutzu, The concept of reality of Existence (Tokyo 1971).

بالنسبة الى العلم الاسبانى الاسلامى يجب الرجوع الى الكتب الآتية :

- F. Fernandez, La medicina arabe en Espana (Barcelona 1936).
- M. Meyerhof, « Esquisse d'histoire de la pharmacologie et botanique chez les Musulmans d'Espagne », Al-Andalus 3 (1935) 1-43.

ولكن فى كل ما يخص العلم الاسبانى الاسلامى يجب الرجوع الى مدرسة المستعربين لكلية برشلونة · الاستاذ الكبير Millas Vallicrosa — نجح فى أحداث ميل فى هذه الكلية الى المواضيع العلمية · على هذا الوجه يجب على من يريد أن يدخل فى هذا الميدان أن يستشير كل آثار Millas و Vernet و Samso · أذكر بعضا منها كمثال :

- J. M. Millas Vallicrosa « Sobre la valoracion de la ciencia arabigo-espanola de fines del siglo X y principios del XI », Al-Andalus 12 (1947) 199-210.
- J. M. Millas Vallicrosa, Estudios sobre la historia de la ciencia espanola (Barcelona 1949).
- J. M. Millas Vallicrosa, Estudios sobre Azarquiel (Madrid 1943-1950).

يجب التنبيه الى كتابين اكراما لـ Millas :

- J. Vernet, Historia de la Literatura arabe (Barcelona 1968).
- J. Vernet, Los Musulmanes espanoles (Barcelona 1962).

ولكن نستطيع أن نقول ان ما هو أثمن عند Vernet يظهر هنا وهناك فى كثيرة من وحدة الموضوع غير واسعة ولكنها من سعة الاطلاع · وهذه الدراسات تضع الاسس لتفسير بعض النقاط الغامضة سابقا فيما يخص العلم الاسلامى عامة والعلم الاسبانى خاصة · عند Vernet توجيه عند J. Samso.

فى ما يختص العلم الاخير التاريخى النحوى الاجتماعى الكتب الآتية تستطيع أن توجه القارىء :

- R. Arnaldez, Grammaire et théologie chez Ibn Hazm de Cordoue. Essai sur la structure et les conditions de la pensée musulmane (Paris 1956).
- Nassif Nassar, La pensée réaliste d'Ibn Khaldûn (Paris 1967).

من الغريب أن نرى أنه مع أن الطرايق المختلفة بداية ونهاية للثقافة الفلسفية الاسبانية الاسلامية فانها سارت فى اتجاه واحد · أعظم من يمثل هذا هم ابن حزم الذى بدأ بشهرة واسعة فى الفلسفة فى بلادنا ، وابن خلدون الذى كما قلنا سابقا تنتهى به أيام الثقافة الاسبانية الاسلامية ·

8 ـ كتب عن العلم الاسبانى الاسلامى .

بصفة عامة تذكر فيما ذكرناه سابقا . لابد أن نستتشير :

— G. Sarton, Introduction to the History of Science. 3 vols., 5 t. (reprint Baltimore 1953).

برغم ان هذا الكتاب يكون عاما توجد فيه كثيرة من مراجع الى العلم الاسلامى على العموم والى العلم الاسبانى على الخصوص . ريادة عن ذلك ألف بعض مقالات عن العلم الاسلامى :

— G. Sarton, « Arabic science an learning in the fifteenth century. Their decadence and fall ». Homenaje a Millas Vallicrosa II, 301 ss.

— G. Sarton, « Oriente y Occidente en la historia de la ciencia », Al Andalus 2 (1934) 263-99.

يوجد أيضا كتاب حديث عن العلم العربى :

— L. Massignon et R. Arnaldez, La science arabe (Paris 1957).

فى هذه المادة كتاب A. Mieli ، ثمين جدا وكلاسيكى :

— A. Mieli, La cience et son rôle dans l'évolution scientifique mondiale (Leiden 1931).

للمقارنة بين العلم والفلسفة الاسلامية الكتاب الآتى جيد جدا :

— S. H. Nasr, An introduction to Islamic cosmological doctrines (Cambridge 1964).

مؤلف آخر كلاسيكى فى تاريخ العلم الاسلامى يهتم به العلم الاسبانى هو :

— F. Wiedemann, Uber die Naturwissenschaften bei den Arabern (Separata) (Hamburg 1890).

— F. Wiedemann, Zur Astronomie und Mathematik bei den Arabern (Berlin 1922).

أيضا الكتاب :

— H. F. Wustenfeld, Geschichte der Arabischen Aerzte und Natur forscher (Hildesheim 1963).

فى ميادين معينة تخص العلم الاسلامى يجب ان نستتشير :

— M. Ullmann, « Die Medizin im Islam », Handbuch der Orientalistik. Erganzungsband VI (Leiden-Köln 1970).

— S. Hamarheh, Bibliography on Medicine and Pharmacy in Medieval Islam, mit einer Einführung Arabismus in der Geschicte der Pharmazie ven Rudolf Schmitz (Stuttgart 1964).

— O. Spies, « Beiträge zur medizinisch - pharmazeutischen Bibliographie des Islam ». Der Islam (Berlin) n. 44 (1968) 138-73.

هو تكملة مفيدة للكتاب السابق ويذكر عنه بعض الاهمال وبعض الاشياء التى فى غير محلهـــا .

— H. Sutter, Die Mathematiker und Astronomen der Araber und ihre Werke (Michigan 1963).

9 ـ مطبوعات نقدية ومنشورات •

من المحال أن نعدد هنا كل المطبوعات التى ألفت عن الفلسفة الاسلامية الاسبانية • بدأنا نعد قائمة كاملة نرجو أن ننشرها يوما •

ولكى ندل على بعض منها وهى التى نستطيع أن نعتبرها كمثال يجب أن نذكر، زيادة عن مطبوعات لـ Asin Palacios ، مطبوعات لـ M. de Bouyge y la Mediaeval Academy of America في مطبوعاته بتقديم حسن تحت اشراف Wolfson.

— H. A. Wolfson, « Revised plan for the publication of a Corpus Commentarisrum in Aristolelem submitted to the Mediaeval Academy of America ». Speculum 6 (1931) 412-27.

يجب أن يذكر أيضا كمثال لما يلزم أن نعمل لكل فيلسوف اسبانى اسلامى : ما يحدد هنا لتفاسير لارسطو يجب أن يطابق كل الآثار الاخرى •

10 ـ تراجم آثار لفلاسفة اسبانيين اسلاميين •

ها هو احد الابواب الاخرى يجب أن تعتبر : فهارس التراجم اللاتينية من القرون الوسطى التى تسيطر علينا Aristoteles Latinus بعطينا الآن بعض المفسرين •

على هذا فان الذين يقدمون لنا تراجم بلغات غربية لهم فضل عظيم • هذه اللائحة طويلة ونتركها للمستقبل بعد ان نشرنا لائحة كل المؤلفين • يكفى لنا ان نذكر هنا اسماء بعض المترجمين •

Asin Palacios, Manuel Alonso, Quiros, la Mediaeval Academg of America, Gauthier, Van Den Bergh, Morata.

نرجو أن يكون عند القراء الوعى الكامل عن حدود عملنا وتبريره • لم ندع الا أن نعمل مقدمة للموضوع وأن نشير قليلا الى أوجه النقص لكى نفتح الطريق أمام الباحثين للاعمال الواسعة التى تستحق التحقيق فى ميدان من أشهر الميادين فيما يخص تاريخنا للفلسفة الاسبانية •

الخليفة العباسى المأمون ودوره فى تطور فكرة السيادة الاسلامية (*)

تلمان ناكل
جامعة بون
جمهورية ألمانيا الاتحادية



ان الحركة الهاشمية التى قضت على سيادة بنى أمية فى شرق العالم الاسلامى كانت حركة متعددة الفئات، مختلفة الاصول • وكان أصلها الرئيسى الفرقة الكيسانية، وهم منتحلو آراء المختار بن أبى عبيد، وعندما فشلت ثورة المختار على ممثلى ابن الزبير انقسمت هذه الفرقة وقال بعضهم اننا لا نقاتل العدو من أجل محمد ابن الحنفية ، انما نقاتله من أجل امامة الرضا من آل النبى كائنا من كان •

وكان عامر بن شراحيل الشعبى المحدث المشهور قد خرج مع المختار ثم بعد هزيمة الكيسانية اعرض عنهم وقال يذمهم : لو كانت الشيعة من الطير كانوا رخما ولو كانوا من الدواب كانوا حميرا وقال الشعبى مرة أخرى أحب صالح المؤمنين وصالح بن هاشم ولا تكن شيعيا (1) • وقد قصد الشعبى بهاتين العبارتين ذم الافراط فى التشيع لشخص معين دون بنى هاشم كلهم كما أراد ان يعبر عن ميله الى حب آل الرسول • ومن آل الرسول بنو أبى طالب بن عبد المطلب وبنو الحارث وبنو العباس وغيرهم •

(*) محاضرة ألقاها فى المركز الثقافى الاسلامى بالعاصمة بتاريخ 28 فبراير 1977 .
(1) أنظر ترجمة عامر بن شراحيل الشعبى فى طبقات ابن سعد .

تدل مقالات الشعبى على ان التيار السياسى والدينى الذى غرضه استبدال خلافة بنى أمية بسيادة من هو أقرب رحما الى الرسول قد صار أوسع ابعادا بعد هزيمة المختار . نشاهد نفس الشىء فى اشعار الكميت بن زيد التى مدح بها آل النبى يعنى بنى هاشم كلهم واشعاره مشهورة جدا لا حاجة الى ايرادها هنا .

استولى بنو العباس على الحركة الهاشمية فيما بعد . ولكن المصادر التاريخية تدل بصراحة على ان فروع بنى هاشم لم يتنازلوا طوعا عن حقهم فى الامر . مثلا كان عبد الله بن معاوية العلوى قد خرج على سلطان بنى أمية فى الكوفة ثم هرب الى فارس وأسس هناك أول دولة هاشمية مستقلة فى 129 هـ . فلحق به رجال من بنى هاشم منهم المنصور الذى صار الخليفة العباسى الثانى فيما بعد . ولكن ابن ضبارة القائد الاموى انتصر على جند عبد الله بن معاوية فلجأ العلوى الى أبى مسلم الذى كان يقيم بمرو حينئذ . فحسبه أبو مسلم فورا ثم قتله خوفا من ان يعلو شأنه .

بالاضافة الى ذلك تدل المراجع على تنازع شديد فيما بين أعضاء الاسرة العباسية يدعى بعضهم تراث السفاح دون البعض الآخر . فحالف عبد الله بن على على المنصور لما افضت الخلافة اليه . وما تنازل عيسى بن موسى عن حقه الا بعد تهديد عنيف . وطالب المنصور بأهل العقد والحل حق تعيين ولى العهد واجبر أصحابه على ان يعترفوا بابنه المهدى خليفة من بعده كما فعله المهدى ذلك من أجل ابنيه موسى الهادى وهارون الرشيد روى سعد بن عبد الله القمى صاحب كتاب«المقالات»ان المهدى كان أول من عقد الخلافة والامامة على أصحابه وأوليائه والامة ، ثم أصبح حق تعيين ولى العهد معمولا به منذ ايام الرشيد (2) .

لا يمكن الشك فى ان اعلان ذلك الحق من جانب المهدى كان خطوة رائدة نحو توطيد سيطرة الدولة العباسية على المسلمين . قد نزع ذلك القانون الحق فى الامر عن فروع بنى هاشم الذين كانوا ينافسون بنى العباس كما رفع أسباب التنازع فيما بين أعضاء الاسرة السائدة . ولكننا نستطيع ان نفهم أهمية قانون المهدى فهما اعمق اذا حاولنا

---

(2) كتاب المقالات ـ تحقيق مشكور ـ طهران 1963 ـ ص 66 .

تحليل الاحوال السياسية السائدة على العالم الاسلامى منذ ايام انحطاط الدولـة الاموية • قلت ان الحركة الهاشمية كانت حركة مختلفة الفئات وكانت تلك الفئـات اصحاب فروع بنى هاشم المتنافسين • لكن الهاشمية اصبحت تتحالف مع الحركات الاخرى التى كانت تناضل من أجل القضاء على بنى أمية • روى المؤرخون ان بعـض الخوارج كانوا قد اعانوا عبد الله بن معاوية على لجيش الاموى لما هرب من العراق الى فارس كما حدثنا رواة الاخباران بقية جيش الحارث بن سريج دخلوا جند أبى مسلم بمرو • كان الحارث بن سريج قد خرج على بنى أمية يطلب منهم القيام بسنة رسـول الله صلعم • فجدير بالذكر ان النقباء الهاشميين كانوا يأخذون البيعة على الهاشمية على الشكل التالى : نبايعكم على كتاب الله وسنة نبيه صلعم ، والطاعة للرضا من أهل بيت رسول اللـه صلعم • ومـا ذكروا سنة النبى الا بعدما لحـق بهم جيش الحارث ابن سريج (3) • فنرى ان جميع تيارات المعارضة قد تحالفت عـلى الخليفة الاموى • فصارت الهاشمية تشمل اتجاهات هامة للفكر الدينى والسياسى فى ذلك العصر وان كانت متناقضة من قبل •

ولما استولى بنو العباس على الخلافة ظلوا يصالحون بين الفرق المتناقضة • يدلنا على ذلك ما قال داود بن على عم السفاح حين المبايعة فى الكوفة وهو يخاطب الناس : أيها الناس انا والله ما خرجنا فى طلب هذا الامر لنكثر لجينا ولا عقيانا ولا نحفر نهرا ولا نبنى قصرا وانما أخرجنا الانفة من ابتزازهم حقنا والغضب لبنى عمنا وما كرثنا من أموركم ويهظنا من شؤونكم ولقد كانت أموركم ترمضنا ونحن على فرشنا ويشتد علينا سوء سيرة بنى أمية فيكم وخرفهم بكم واستذلالهم لكم واستئثارهم بفيئكم وصدقاتكم ومغانمكم عليكم ـ لكم ذمة الله تبارك وتعالى وذمة رسوله صلعم وذمة العباس ان نحكم فيكم بما انزل الله ونعمل فيكم بكتاب الله ونسير فى العامة منكم والخاصة بسـيرة رسول الله صلعم (4) •

---

(3) تاريخ الطبرى ـ طبعة ليدن ـ 2 ـ ص 1979
T. Nagel, Untersuchungen zur Entstehung des abbasidischen Kalifates, Bonn 1972, 145, 158.
(4) الطبرى ـ 3/29

ما هو مدلول هذه الخطبة ؟ يزعم داود بن علي ان دولة بني أمية كانت دولة قبيحة لانهم لم يتمسكوا بالتنزيل ولا بسيرة الرسول بمعنى بالسنة النبوية • فاستبدوا بالامر استبدادا وها دولة بني العباس قد جاءت تضمن للمؤمنين ان تحكم فيهم بالقرآن والسنة • ويتفق ذلك مع ما ظل أصحاب السنة يطلبون من خلفاء بني أمية وما حققه عمر بن عبد العزيز في خلافته القصيرة المدة • لكن في كلمات الخطبة المذكورة تعريضا لتيار فكري ثان وهو فكرة الامامة كما دعا اليها فرق الشيعة ولا يجوز ان نغفل الاصل الشيعي للحركة الهاشمية الذي أشرت اليه آنفا • قال داود بن علي ان للناس ذمة العباس • وكان أبو العباس السفاح قد قال لهم قبل ذلك : ان الله قد أيد الاسلام بنا وخصنا برحم رسول الله وقرابته وانشأنا من آبائه وانبتنا من شجرته وانزل بذلك على أهل الاسلام كتابا فقال الله تعالى : «قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى» ـ في آيات أخرى تشبه معنى هذه الآية ـ فاعلم الله الناس فضلنا واوجب عليهم حقنا ومودتنا وبنا هدى الله الناس بعد ظلالتهم وبصرهم بعد جهالتهم واظهر بنا الحق وادحض بنا الباطل واصلح بنا ما كان منهم فاسدا وجمع الفرقة حتى عاد الناس بعد العداوة أهل التعاطف والبر والمواساة في دينهم ودنياهم (5) •

نكتفي هنا بايراد هذا الفصل من خطبة أبي العباس السفاح • فانه من الواضح ان هذه الكلمات عبارة عن الامام ومقامه في الامة على نفس الوجه الذي كانت الشيعة تصوره عليه وهو امام أصله في آل النبي يأتيه شيء مما يشبه الالهام وان لم يكن وحي • فنرى آل العباس قد بنوا خلافتهم على أساس فكري يوفق بين آراء أهل السنة ومقالات أهل التشيع • واذا درسنا ما روى من أفعال الخليفة العباسي المهدي يظهر لنا هذا الاساس الثنائي لحكمه • ان المهدي كان يقتدي بسيرة الرسول • مثلا أراد أن يعيد منبر الرسول الى ما كان عليه قبل دولة بني أمية والغى استلحاق معاوية زياد ابن أبيه وأهله واخرجهم من نسب قريش وديوانهم • فعل ذلك اعتمادا منه على السنة النبوية • ثم اعلن المهدي ان رسول الله صلعم ، قد أوصى للعباس بالامامة وان كل من

(5) المصدر السابق ـ 29/3

T. Nagel, Rechtleitung und Kalifat : Versuch über eine Grundfrage der islamischen Geschichte, Bonn 1975, 91 sqq.

سيطر على دار الاسلام قبل دولة بنى العباس انما استولى على الامر غصبا وان بنى العباس توارثوا الامامة بالوصية حتى ظهرت دولتهم على دولة بنى أمية ٠ هذه المقالات هى التراث الشيعى للعباسيين لا شك فيه ٠ ولكنها تؤكد استقلال الخليفة العباسى عن جميع الفرق الدينية والسياسية وتصيره فوق التيارات المتناقضة وهو الوارث الشرعى الوحيد لتراث النبى ٠

انى قد أطلت شرح هذه المبادىء لانها هى مبادىء الفكر الدينى والسياسى الذى هو منطلق فكر المأمون واصحابه ٠ ان المأمون لم يبتدع أفكارا ومثلا عليا كانت محدثة بأسرها ٠ لكنه واصل تطوير ما كان رائجا من الافكار ٠

عاش المأمون فى قصر البرامكة وهو شاب بالغ السن ٠ من المحتمل انه كان يشترك فى الحياة الفكرية التى نجد آثارها فى كثير من ميادين الفكر ٠ روى المؤرخون ان قصر البرامكة كان ملجأ الفلاسفة والمتكلمين وكان البرامكة يشجعون البحث العلمى والشغل بتراث الفلاسفة اليونان وعلماء ايران والهند وكانوا يكرمون الباحثين اكراما ٠ من المحتمل ان هذه البيئة العقلية اثرت على الشاب تأثيرا عميقا ٠ لكن قصر البرامكة ما كان مركزا للعلم فقط بل كان مركزا سياسيا فى نفس الوقت ٠ يدل على ذلك ما رفع محمد بن ليث الواعظ المشهور من ذم البرامكة الى هرون الرشيد فحبسه الخليفة وما اخرجه من السجن الا بعد سقوط البرامكة ٠ لمحمد بن ليث هذا رسالة طويلة يؤلب فيها الناس على أهل خراسان رواها ابن عبد ربه فى المجلد الاول من كتاب «العقد الفريد» ومن المعلوم ان فضل بن يحيى البرمكى كان عاملا للخليفة على خراسان ٠ وكان يحابى أهل خراسان لا يأخذ منهم الا شيئا يسيرا من الخراج فعزله الخليفة وعين على بن عيسى بن ماهان مكانه ٠ فعامل الناس بالعنف وخاشنهم حتى أخذ منهم مالا كثيرا ٠ فلام فضل بن يحيى الخليفة لما بلغه ما فعل على بن عيسى فعزله الخليفة ٠ فثار الناس فى بغداد لما رأوا من محاباة الخليفة لاهل خراسان ٠ وبعدما حبس محمد بن ليث حاول البرامكة ان يحكموا نفوذهم على الخليفة وان يضاعفوا من قوة الحزب الخراسانى ٠ فاقنعوا هرون الرشيد بان يعين ابنه الثانى المأمون وليا للعهد بعد أخيه الامين وبان يقسم دار الاسلام الى قسمين ويعطى المأمون القسم الشرقى منها ففعل ذلك ٠ ثم

رحل المأمون الى خراسان وتصرف فيها تصرف الامير المستقل . فاصبحت دار الاسلام قد انشقت شقين قطب الواحد منهما المأمون والعلماء الذين رافقوه منذ أيام تربيته فى قصر البرامكة ومشاوراه السياسيان حسن بن سهل وفضل بن سهل اللذان كانا يخدمان البرامكة من قبل . وقطب الآخر منهما الامين ومشاوراه على بن عيسى بن ماهان والفضل ابن ربيع الذى كان من أشد اعداء البرامكة . فلا غرو ان الاحوال كانت متوترة جدا لما مات هرون بالقرب من مدينة طوس . لم يتردد الامين فى نكث العهد الذى وعد به اخاه . عزل الامين اخاه المأمون من ولاية العهد وعين ابنه الصغير وليا للعهد مكانه وسماه الناطق بالحق . فاستهزأ الناس فى بغداد منه وقال بعضهم فى ذلك :

فعال الخليفة اعجوبة ... واعجب منه فعال الوزير (6)
واعجب من ذا وذا اننا ... نبايع للطفل فينا الصغير
ومن ليس يحسن مسح انفه ... ولم يخل متنه من حجر ظير
وما ذاك الا بباغ وغاو ... يريدان نقض الكتاب المنير

ان المأمون لما عزله أخوه من ولاية العهد تسمى بالامام ولم يتسم بالخليفة لانه كان يتردد فى الاقدام على قطع العلاقات التى كانت تربط بينه وبين أخيه الخليفة الشرعى قطعا نهائيا . وما أخذ الطاهر بن الحسين البيعة للمأمون بالخلافة الا بعدما نشبت الحرب بين المأمون وأخيه . وما ان بلغ المأمون ان أخاه كان يتعدى على أهله وماله بالعراق حتى اتخذ التدابير اللازمة لفتح العراق وللقضاء على سيادة الامين . واستحث المأمون أهل خراسان على القتال من أجله وأشار الى الخدمة التى قدموها الى أسرة بنى العباس فى الماضى وقال لهم انى محى الدعوة العباسية التى سيكون انتصارها فى خراسان كما كان من قبل . ثم جمع المأمون الرؤساء والفقهاء ودعاهم الى الحق والعمل به ووعدهم احياء الدعوة وكان يقول للرؤساء اننا نقيمكم مقام نقباء الهاشمية فى ايام أبى مسلم . ثم حط عن أهل خراسان ربع الخراج . فمدحه الناس وقالوا قد انعم علينا

(6) يعنى الفضل بن ربيع . انظر المسعودى ــ مروج الذهب ــ طبعة بيروت 1965 ــ 397/3 .

ابن اختنا وكانت أم المأمون من أهل بادغيس . فانقاد للمأمون من له شأن فى خراسان ودخلوا فى طاعته . فى تلك الايام أمر المأمون كاتبه أحمد بن يوسف ان ينشىء رسالة يوضح فيها مبادىء الحكم التى تبناها المأمون ويستحث فيها أهل خراسان على التمسك بالدعوة الجديدة . ففعل أحمد بن يوسف ذلك وانشأ الرسالة المسماة برسالة الخميس وهى من أهم وثائق الفكر السياسى والدينى فى عهد العباسيين . والخميس هو الجند ويخاطب المأمون بهذه الرسالة جنوده والقواد خاصة . وانى ساورد أهم فصول رسالة الخميس المكتوبة عن المأمون ثم ساشرح الافكار الرئيسية منها حتى تتضح المبادىء المعنوية التى كان الخليفة يعتبرها أساسا لوظيفته .

يبتدىء مؤلف الرسالة بحمد الله على نعمته ويقول ان الله فاطر السموات والارض وما بينهما هو الذى جعل ما أودع عباده من نعمته دليلا هاديا الى معرفته بما أفادهم من الالباب التى يفهمون بها فصل الخطاب حتى أستدلوا بما أراهم من بالغ حكمته ومتقن صنعته على انّ لهم وللعالم كله بارئا هو انشأه وابتدأه ويسر بعضه لبعض ـ يعنى ان للانسان عقلا واذا تأمل الانسان ما يحيط به من المخلوقات فلابد من ان يعرف ان للعالم خالقا رحيما هو الله تعالى . ثم يقول صاحب الرسالة ان من عظيم نعمة الله على خلقه افتقاده اياهم ثم يسددهم ويدلهم على منافعهم ويجنبهم مضارهم ويهديهم لما فيه صلاحهم ويرغبهم فى المحافظة على التمسك بدين الله عز وجل ولولا ما تقدم به من تلافيهم واستدراكهم بفضل رحمته لتهالكوا ببغى بعضهم على بعض وعدوان قويهم على ضعيفهم ولكنه بعد تعريفه اياهم ملك قدرته بعث اليهم انبياءه ورسله مبشرين ومنذرين لان الناس لم يكونوا ليطيعوا أمرا لآمر ولا نهيا لناه الا بحجة وتخويف ورجاء ـ يعنى لا يطيعون أمر الله الا بالوعد والوعيد ـ .

ثم يستطرد صاحب الرسالة من ذلك الى قوله انه لم تزل رسل الله عز وجل الى خلقه تترى بالنور الساطع والبرهان القاطع ... وكان انبياء الله يبعثون نذرا للامم حتى ختمهم الله عز وجل بالنبى الامى محمد صلى الله عليه وسلم وأكمل الله لعباده دينهم الذى ارتضى لهم...ثم خلفه الله ـ اذ ختم به الانبياء ـ بالبررة النجباء من ادانيه ولحمته لاقامة الشرائع المفترضة وانفذ حكم الله المنزل ... ثم يقول ولو كان الائمة

المقلدون أمر عباد الله خاملة انسابهم غير مخصوصين بفضيلة يرونهم بها دون غيرهم لم يعد عقد الخلافة لهم ان تكون من مفترضاته على كافة الامة أو على بعض دون بعض ويشرح لنا صاحب الرسالة انه لو كان الناس بأنفسهم مسؤولين عن اختيار خليفتهم لم يتفقوا ابدا على شخص واحد ولو كانت الامة على مثل هذه الحال من اختلاف الآراء لهلكت بعد مدة يسيرة • ولذلك السبب وصل الله نسب الخلفاء بنسب رسوله صلعم ليرى المؤمنون من يلتجئون اليه فيما يهمهم من الامور ـ • وقال المؤلف ولم يزل سياق أئمة الهدى مطردا ونظامهم متصلا يتلقاه كابر عن كابر ••• حتى تناهى الى أمير المؤمنين وهو حال دار دعوته وبين انصاره من أهل خراسان ـ ثم يصف صاحب الرسالة فضائل أهل خراسان ويحمدهم على ما رأى بنو العباس من اخلاصهم لهم ومن حبهم لاهل البيت ويعدهم جزاء خيرا اذا اعانوه على النصر ويعظهم عن خذلان الامر الحق • (7)

ان الافتراض الرئيسى الذى يبنى الخليفة افكاره عليه هو اعتقاده ان الله قد خلق الانسان كمخلوق له عقله الحر • فاذا من واجبات الانسان ان يستخدم عقله حتى يدرك اسرار الكون ونظامه فيعرف كنه نواميس الطبيعة وكذا كنه الشريعة التى نظم الله تعالى بها علاقات الانسان بالله وتعايش الناس فيما بينهم • من المشهور ان ذلك الافتراض من اعتقادات التيار المعتزلى الذى أصبح يزدهر فى أواخر القرن الثانى الهجرى والذى عرفه المأمون حين تربيته فى قصر البرامكة • كان المعتزلون يمدحون العقل وكانوا يقولون اذا استخدمنا العقل ونقدنا جميع المقالات وكل ما يعتقد الناس بحسب قواعد المنطق حصلنا على العقيدة الصحيحة الوحيدة فتعود الامة أمة واحدة بعد ما كانت فرقا متناقضة • وسيضمحل فساد القتال والحروب بعد توحيد الدين أو الآراء الدينية • كل هذا من التأثير الحسن الذى للعقل الانسانى على الحياة الاجتماعية • وكان المأمون يرجو ان يصالح بين الاحزاب المتخاصمة بالحجج العقلية لا بالقهر والعنف والتهديد • روى الخطيب البغدادى ان المأمون كان يقول غلبة الحجة احب الى من غلبة القدرة لان غلبة القدرة تزول بزوالها وغلبة الحجة لا يزيلها شىء • (8)

(7) جمهرة رسائل العرب ـ تحقيق أحمد زكى صفوت ـ القاهرة 1937 ـ 3/رقم 207.
(8) الخطيب تاريخ بغداد القاهرة 1931 ـ 10/183 ـ رقم 5337 .

الجدال الفكرى حر مباح · هذا من معتقدات المأمون ـ والجدال الحر يؤدى بالانسان الى الحقيقة الدينية والى الوحدة السياسية ثم الى السلم · ولكن ما وظيفة الخليفة أو امام الهدى فى هذا النزاع الفكرى ؟ هل يدرك الانسان كل ذلك بدون معلم وبدون دليل ؟ لا · يقول صاحب رسالة الخميس لا يمكن الانسان تحقيق تلك المثل العليا بدون مرب ·

ووظيفة امام الهدى هى تربية الناس حتى يستطيعوا ان يحققوا مصالحهم تحت اشراف الامام · ان الله بعث رسله الى الامم القديمة ليدلوهم على الحق وليعينوهم على تحقيق احكام الشريعة التى فهموا حقيقتها بالعقل الذى من الله عز وجل به عليهم · وكان الرسل والانبياء قد ادوا تلك الوظيفة بواسطة الوحى الذى كان يأتيهم من عند الله · لكن لا يجوز لمخلوق ادعاء الوحى الالهى بعد وفاة محمد لانه كان خاتم الانبياء ·

فاذا ما يؤهل امام الهدى لاداء مهمته التى لا بقاء للامة الا بها ؟ قال صاحب الرسالة ان الله خلف رسوله محمدا البررة النجباء من لحمته أى من أسرته ومن اقربائه الادانى · فيجوز الاستنتاج من هذه العبارة ان لاهل البيت مزايا خاصة تميزهم عن سائر الناس وتلك المزايا هى مواهب من عند الله وهبها لهم تقديرا منه لهم على القيام بوظيفتهم الضرورية · ومما يبدو لنا ان تلك المواهب المشار اليها هى مواهب تصل بين الائمة والانبياء وتضمن لكل مؤمن استمرار الهدى الالهى على الارض ـ طبعا على مستوى ادنى منه فى حياة الرسل والانبياء لان الوحى الالهى قد انقطع عن الانسانية الى الابد لما توفى الله محمدا صلى الله عليه وسلم · فنجد لامام الهدى منزلة عظيمة الشأن عند الله وأيضا عند جماعة المسلمين وان كان شأنه أقل أهمية بكثير من شأن الأنبيـــاء ·

وصف عمرو بن بحر الجاحظ شأن الامام مقارنا بين مقام كل من الرسل والانبياء والائمة وكان ما شرح الجاحظ من أصول الامامة موافقا لرأى المأمون لان الجاحظ كتب فى بعض فصول كتاب البيان والتبيين ان المأمون قرأ مؤلفاته فى الامامة فوجدها على ما أمر به · (9)

(9) الجاحظ ـ البيان والتبيين ـ طبعة القاهرة 1956 ـ 3/329 .

قال الجاحظ فى رسالته المسماة بكتاب استحقاق الامامة ان الجماعة لا تخلو ابدا من الحاجة الى امام يهديهم وان دلهم عقلهم على حقيقة الشريعة وضرورة العمل بها . والائمة ثلاثة أنواع : رسول ونبى وامام . فالرسول نبى امام والنبى امام وليس برسول والامام ليس برسول ولا نبى . وانما اختلف اسماءهم ومراتبهم لاختلاف المقومات والطبائع وعلى قدر ارتفاع بعضهم عن درجة بعض فى العزم ... وبتغير الزمان يتغير الغرض وتتبدل الشريعة فأفضل الناس الرسول ثم النبى ثم الامام فالرسول هو الذى يشرع الشريعة ويبتدىء الملة ويقيم الناس على جمل مراشدهم ولولا ان فى طاقة الناس قبول التلقين وفهم الاشارة لكانوا هملا ولسقط عنهم الامر والنهى ولكنهم يفصلون بين الامور اذا أوردت عليهم وكفوا مؤنة التجربة وعلاج الاستنباط .. ولن يبلغوا بذلك قدر المستغنى بنفسه المستبد برايه المكتفى بفطنته عن ارشاد الرسل وتلقين الائمة . وانما جاز ان يكون الرسول مرة عربيا ومرة عجميا وليس بيت يخطره ولا شرف يشهر موضعه لانه حيث كان مبتدىء الملة ومخرج الشريعة كان ذلك اشهر من شرف الحسب المذكور وانبه من البيت المقدم ولانه يحتاج من الاعلام والآيات الى الظاهر المعقول والواضح الذى لا يخيل ان يشتهر مثله فى الآفاق فلا يحتاج حاله معه الى مال ولا قدره الى حسب ولان النبى ليس برسول ولا مبتدىء ملة ولا منشىء شريعة وانما هو للتأكيد والبشارة كبشارة النبى بالرسول الكائن على غابر الايام وطول الدهر . وتوكيد المبشر يحتاج من الاعلام الى دون ما يحتاج اليه المبتدىء لاصل الملة الناقل للناس عن الجهل الراسخ . فلذلك اكتفى النبى بشهرة اعلام الرسول وشرائعه من شهرة بيته وشرف حسبه لانه لا ذكر الا والنبى خامل عند ذكر الرسول ولا شرف الا وهو وضيع عند شرفه . ـ هنا ينقطع ما كتب الجاحظ . (10)

ولكنا اذا قدمنا على اضافة ما سقط من نص هذه الرسالة قلنا ان وظيفة الامام الذى مرتبته ادنى مرتبة ليست بشرع شريعة ولا بتوكيد شريعة أو بشارة برسول كائن فى المستقبل بل وظيفته المحافظة على الشريعة المنزلة وتلقين الناس مناهج العمل بها كى تصلح احوالهم فى الدنيا وفى الآخرة . ومن أجل تحقيق ذلك الغرض

(10) الجاحظ ـ رسائل ـ تحقيق السندوبى ـ القاهرة 1933 ـ ص 247 وما بعدها .

يحتاج الامام الى نسب شريف كما شرحه صاحب رسالة الخميس لانه ليس برسول مستغن عن الحسب وليس بنبى يكتفى باعلام الرسول . اما منزلة امام الهدى فمثبتة بكونه من لحمة أهل بيت الرسول .

هذا هو الاساس النظرى لخلافة المأمون أو لامامة الهدى . فلنبحث الآن عن تأثير النظرية على تصرفات الخليفة السياسية . قلنا ان المأمون لم يدع الخلافة الا بعد اشتعال نيران الحرب الاهلية مع أخيه الامين . فمن البديهى ان همته الاولى كانت اعادة وحدة المسلمين . فنرى المأمون يسعى فى ذلك الغرض بحسب معتقداته التى شرحناها آنفا . ان الامين وخلفه من بعده ابراهيم بن المهدى كانا يعتمدان على قوة أهل السنة فى بغداد الذين كانوا يعارضون أهل الاعتزال الذين التفوا حول المأمون . وكانت الفرقة المتطرفة من أهل السنة من سماهم الجاحظ فى رسالة له مشهورة «النابتة» . وكان من عادات النابتة ان يمدحوا معاوية حقدا منهم على دولة بنى العباس . فصاروا الآن أعوانا للامين وابراهيم على المأمون واصحابه .

فلما غلب المأمون على اعدائه عفا عنهم وتجاوز عن عذابهم لانه كان يرغب عن القهر . انما كان قصده تربية الناس حتى يدركوا صحة مقالاته الدينية واعماله السياسية . وكانت همته ادحاض حجج المخاصمين بحجج احسن منها لا بالدرة وبالسيف . لذلك السبب اعلن رسميا بعض العقائد التى قد ناقش فيها أهل الاعتزال ثم وافقوا عليها لانها فى ظنهم لا تتعارض مع المعقول والمنطق . وكان المأمون موقنا بان كل الناس سيقبلون تلك العقائد فتعود الوحدة ويزول النزاع ويكون السلام قائما الى الابد . اعلن المأمون ان ذكر معاوية بالخير ممنوع وان على بن ابى طالب خير الناس اجمعين وان القرآن مخلوق . ما معنى تلك العقائد الثلاث ؟ تقصد تلك العقائد الى تذليل النابتة لانها كانت تمدح معاوية وتشتم على بن ابى طالب وتقول بان القرآن كلام الله وان كلامه غير مخلوق يعود الى الله يوم القيامة مثلما خرج من عنده . روى يحيى ابن اكثم فى كتاب بغداد لابن طيفور ان المأمون أمر بجمع الفقهاء وأهل العلم عند دخوله بغداد . فلما حضروا مجلسه قال لهم لماذا لا تفضلون على بن ابى طالب على سائر السلف ومناقبه مشهورة جدا تدل بصراحة على عظيم فضله ؟ وما قصدنا من

تفضيل على بن ابى طالب تذليل غيره من الصحابة كما زعمه تلك الطوائف التى خالفتنى فى عقيدتى هذه التى هى مبنية على حجج معقولة ٠

ثم شرح الخليفة مبادىء مقالاته فى على حتى يدرك من حضر من أهل العلم صحة تلك المقالات ثم يقبلوها طوعا ويجمعوا على ما هو أرضى واصلح للدين (!) وفى العقد الفريد حديث طويل فى احتجاج المامون على الفقهاء فى فضل على ٠ فنرى المأمون يثبت ضرورة تفضيل على على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اجمعين،وهو يشير الى ان فى زعمه لعلى كرجل واحد مثل مناقب الصحابة باجمعهم ٠ قال الراوى فأقبل علينا المأمون وقال ما تقولون ؟ فقلنا كلنا نقول بقول أمير المؤمنين فقال ٠٠٠ اللهم قد نصحت لهم القول اللهم انى قد اخرجت الامر من عنقى اللهم انى ادينك بالتقرب اليك بحب على وولايته ٠ (12)

من هنا ومما روى الجاحظ فى نفس الموضوع نعلم ان المأمون كان يدين بقول الزيدية فى على بن ابى طالب وكان نفس القول من معتقدات المثقفين الذين حاباهم البرامكة ثم اجتمعوا حول المأمون فى خراسان بعد سقوط البرامكة وكانوا كلهم يدينون بهذا القول لانه فى زعمهم اصح قول على الاطلاق واقربه الى العقل والفهم ٠ وكان المأمون يرجو ان يقنع الطوائف به ٠

ومن أقوال الزيدية أيضا ان الامامة انما تجوز فى الشخص الافضل من قريش وان كانت جائزة فى الشخص المفضول فى ظروف معينة وان الافضل اذا صار اماما يتواضع له كل المخالفين فتصير الامة واحدة مثلما كانت فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ٠ تبنى المأمون هذه العقيدة أيضا فعين عليا حفيد جعفر الصادق وليا للعهد من بعده وسماه الرضا تعريضا منه لتلك العقيدة الزيدية ولقول الهاشمية القديم بان الرضا من آل محمد سيصالح بين الاعداء وسيعامل المؤمنين بالعدل وسيرفع سلطان الظلم عنهم ٠ فنرى المأمون الخليفة العباسى يرجع وحدة الامة على اسرته العباسيين وهو يحقق ما طلبت الهاشمية من امامة الرضا من آل محمد ٠

(11) ابن طيفور ـ كتاب بغداد ـ تحقيق كلر ـ ليبزيع 1908 ـ ص 75 .
(12) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ـ تحقيق أحمد أمين ـ القاهرة 1940 ـ 101/5 .

استعمل المأمون ما ادعاه المهدى من حق الخليفة العباسى فى تعيين ولى العهد · وانما استعمله لغرض غير الغرض الذى كان جده يقصد اليه ·

فلنورد الآن بعض فصول العقد الذى عهد فيه المأمون بولاية العهد الى على الرضا · يقول المأمون ان على الخليفة ان يختار من هو أهل لقمع المخالفين فكانت خيرة الخليفة بعد استخارته لله من البيتين العباسى والعلوى على بن موسى بن جعفر لما رأى من فضله البارع وعلمه الناصع وورعه الظاهر وزهده الخالص وقد استبان له ما لم تزل الاخبار عنه متواطئة والالسن عليه متفقة والكلمة فيه جامعة ولما لم يزل يعرفه به من الفضل يافعا وناشئا وحدثا ومكتهلا فعقد له بالعقد والخلافة ايثارا لله والدين ونظرا للمسلمين وطلبا للسلامة وثبات الحجة والنجاة فى اليوم الذى يقوم الناس فيه لرب العالمين (13) ، ثم بعد ذلك رحل على الرضا من الحجاز الى خراسان ليصاحب المأمون الخليفة فى سفره وحضره · فتناقشا يوما من الايام فى السلطان على المسلمين · وقال على الرضا : ان العلويين يدعون الامر بسبب قرابتهم من رسول الله · فرد عليه الخليفة : انه ان لم يكن هاهنا شىء الا القرابة ففى خلف رسول الله من هو اقرب اليه ومن هو فى القرابة مثله · (14) أشار المأمون بتلك الكلمات الى ان الامامة لا تجب الا لافضل اهل البيت · فيؤكد هذا الحديث ما شرحنا من آراء المأمون فى الخلافة والامامة ·

وبذلك اتممنا شرح مقالات المأمون وخلاصتها ان امام الهدى يجب ان يكون من لحمة رسول الله صلى الله عليه وسلم كى يمكنه أداء وظيفته العظيمة الشأن وهى تربية الناس على التمسك بالشريعة حتى تصلح احوالهم فى الدنيا والآخرة وان كل ذلك لا يتم الا على يد الافضل من أهل البيت جميعا · يظهر فى افكار المأمون الدينية والسياسية المفهوم الاعلى للسيادة الاسلامية فى القرون الوسطى وهو ان المأمون ربط بين السيادة والتربية واعتبر نفسه مسؤولا عن نجاح التربية التى لا تقصد الى القهر والاضطهاد بل الى تمكين المؤمنين من استخدام العقل الذى هو افضل ما انعم الله تعالى به عليهم · وهذا هو الذى يدلنا على كبر المأمون وعظمته لا أعماله السياسية التى فشل فى معظمها الامر الذى يتفق عليه أصحاب التواريخ ·

(13) القلقشندى ـ صبح الاعشى ـ القاهرة 1313 ـ 9/365 .
(14) ابن قتيبة ـ عيون الاخبار ـ القاهرة 1930 ـ 2/140 .

منشـــورات
وزارة التعليـم الاصـلى والشؤون الدينيـــة



المـــرأة بعـــد عـــام المـــرأة (*)

د • بارفين شوكت على
استاذة مساعدة
بمعهد السيدة ماكلاغان تريننغ
لاهور ـ (باكستان)



مع قرار الامم المتحدة لجعل سنة 1975 كعام المرأة الذى أخذت الدول الاعضاء فى بذل مجهودات جبارة لاعادة تقييم سياساتها بصدد المرأة، تعقد المعاهد، والاكاديميات، ندوات خاصة ، ومؤتمرات ، لتأكيد حق المرأة بالاضافة الى وضع الخطط لاعادة المرأة الى مكانتها كشريك مساو للرجل فى التطور الوطنى • ان مغزى عام المـــرأة الدولى هـــو :

أ ـ مساواة الرجل بالمرأة •

ب ـ التأكيد على المشاركة الكاملة للنساء فى المجهودات الكلية للتطور ، ولتأكيد مسؤولية المرأة ودورها الهام الذى تلعبه من أجل التطور الاقتصادى، والاجتماعى،

(*) تنشر هذه المحاضرات طبقا لمبدا نشر كل محاضرات الملتقيات الذى أعلنا عنـه فى العدد الاول من الاصالة تعميما للفائدة ، ولطلب الكثير ممن تصلهم المجلة،ولا تصلهم كتب الملتقيات . « الاصالة »

والثقافى، على المستويات الاقليمية الوطنية،والدولية خاصة أثناء العقد الثانى لتطور الامم المتحدة ·

جـ ـ زيادة مساهمة المرأة فى تطور العلاقات الودية والتعاون بين الدول ودعم السلام العالمى ·

اذن الفكرة الرئيسية هى : المساواة،والتطور، والسلام ·

ان البلدان النامية بما فيها العالم الاسلامى تأخذ مكانها المناسب لانها تبحث عن اصلاحات قانونية ، وذلك لان الامم المتحدة أصدرت فى العقد الماضى وثائق هامة حول الحقوق الشرعية للمرأة · هناك مبدأ عام للمساواة الشرعية تم وضعه فى الميثاق وفى مقدمة قرار حقوق الانسان ·

اننا نجد أن لجنة الامم المتحدة الخاصة بوضع المرأة قد سجلت قرارات تمهيدية فى استطاعتها أن تقدم خطوطا توجيهية للمشرعين فى البلدان الجديدة · فى الفترة ما بين 1961 ـ 1964 قامت الامم المتحدة بعقد أربع ندوات حول وضع المرأة وقوانين الاسرة · هذه اللقاءات شملت المحلفين ومؤيدى الحركة النسوية من جميع انحاء العالم لتبادل الخبرات والآراء حول هذا الموضوع · ان تقارير المداولات واضحة وخالية من الاصطلاحات الفنية القانونية ، وبالامكان قراءتها بسهولة من قبل العلمانيين والاخصائيين ·

من الاهمية بمكان ان نذكر منظمة العمل الدولية لقيامها بدراسة الحقوق الاقتصادية للمرأة فى العصور الحديثة · منذ أكثر من نصف قرن قامت هذه المنظمة بواسطة الدعم المالى،والدراسة،والنصح بتكرار الرفع من قيمة نتيجة وجود الفرص الاقتصادية للمرأة فى العالم · ان معظم مؤسسات العمل الدولية تلجأ للرجل والمرأة بالتساوى · هناك توصية هامة ثبتت فى قانون التكافؤ فى الاجر لمنظمة العمل الدولية لسنة 1951، حيث كان المقصود منها هو التساوى فى الاجر بالنسبة للعمل المتساوى القيمة لكلا الطرفين ، الرجال والنساء · وفى عام 1953 ، تبنى قانون بخصوص التمييز فى الوظائف ، وقد صادقت عليه عدة أقاليم ، فهو يمنع التمييز فى الوظائف على أساس

[illegible] التدريب المهنى فى عام 1962 ، وقانون منهج التوظيف عام 1964 [illegible] بعض الاجراءات الاخرى المعروفة التى تبنتها منظمة العمل الدولية ، والتى كان لها تقدير هام بصدد الحقوق الاقتصادية للمرأة فى البلدان النامية .

[illegible] نستطيع أن نحكم على مستقبل المرأة المسلمة على ضوء [illegible] التى تسود بعض البلدان الاسلامية . على اثر وجود بعض [illegible] له فيه تقوم بشيء من التغيير بصدد [illegible] وزارات الشؤون الاجتماعية والصحة تقوم [illegible] المشاكل الاجتماعية عن طريق الاجراءات التشريعية . يقول الدكتور روبنسون بصدد التشريع الاجتماعى فى تركيا : « يوجد فى سجلات القوانين بتركيا بعض النصوص من اعظم النصوص تطورا وهى تدور حول التشريع [illegible] بعض المنازعات التى عرقلت مسيرة التطور [illegible] علاقات العمل ، والسلامة [illegible] الاجتماعى ، وتأمين الانسان ، واستصلاح الارض ، وعمل الطفل ، والنساء فى الصناعة ، والصحة العامة ، ومساواة المرأة ، وضريبة الدخل التصاعدية وما شابه ذلك ، الا ان ذلك التشريع لم تتم مجرد المصادقة عليه وذلك لتجنب [illegible]

[illegible] تحصل النساء فى البلدان الاسلامية على معرفة خاصة تتعلق بمشاكل المجتمع . ان شعوب العالم الاسلامى [illegible] والتعليم [illegible] العام والتقنى قد فضل على الامور الاخرى [illegible] مسائل حقيقية واحدة جديرة بالملاحظة [illegible] تختلف من بلد الى آخر ، اضف الى ذلك ان اغلبية ساحقة من النساء فى جميع بلدان الشرق الاوسط ما زالت غير متعلمة . فى بلدان شبه الجزيرة العربية نجد ان اعلى نسبة للامية هى فى القطر السعودى .

بعد دراسة عامة للتعليم فى ايران،والعراق،ولبنان،تبين أن تقدم المرأة فى التعليم لم يصل بعد الحد المطلوب · فى الاردن،والسودان،والعربية السعودية،نجد أن تعليم المرأة لا يتجاوز المرحلة الابتدائية ، وما زال الرجال يعتبرون ان تعليم المرأة غير ضرورى · الرجعية،والجهل،والفقر،والطبع [illegible] البدوى [illegible] ان ذلك يشمل [illegible] كبيرا من السكان ، الامر الذى يشكل صعوبه كبيرة ، على كل حال ، رغم كثير من العقبات نجد أن هناك تقدما ملحوظا فى العالم الاسلامى ، وهذا ينعكس على الحرية الممنوحة للمرأة من أجل بلوغ حياة اقتصادية مستقلة ·

فى تركيا على سبيل المثال نجد أن عدة مئات من الدكتورات يعملن فى جميع اجزاء البلاد ، واستقبلن بثقة كاملة من قبل أولئك الذين يؤمنونهن على حياتهن. يوجد فى الوقت الحاضر كثير من الفتيات التركيات المختصات بالطبيعة ويقمن بالدراسات العليا،والاكلينيكية فى مختلف الاقطار الاوروبية · فى مدرسة لنطيران فى ضواحى انقرة،نجد ان الفتيات يتدربن على الطيران المدنى ، ويقال أنهن يشاهدن فى أيام السبت بعد الزوال بزيهن الانيق · الفتيات التركيات يدرســن الرقص ، ويشتركن فى الروايات بمعهد الموسيقى بانقرة · آلاف من النساء يعملن فى المصانع. عدة مئات من النساء يتعلمن حرفا مفيدة فى معهد عصمت انونو ، وهذه الحرف يمارسنها فى عدة اجزاء من البلاد ·

حدث فى مصر،وسوريا،ولبنان،نفس الوضع حيث خفت حدة التحفظات القديمة المفروضة على حرية وحركة المرأة.اذ أنهن التحقن بوظائف مختلفة،وهن يعملن الآن جنبا الى جنب مع الرجال · اينما تحصل فرصة للعمل ، نجد ان النساء يندفعن نحوها، لانهن الآن يملكن فرصا مساوية للرجل فى العمل · فى لبنان على سبيل المثال ، نجد أن شق قناة الرى (كازمش) الذى بدأ عمله بمقتضى برنامج النقطة الرابعة للولايات المتحدة كان مصدرا مباشرا لعمل النساء فى القرى المحيطة · كانت النساء ترتدى السراويل بكل الوانها تحت الفساتين الحاملة صور الازهار ، اثناء نقل الاسمنت على رؤسهن بواسطة سيلال جلد الغنم لوضعه فى اماكن على ضفاف القنال · قالت السيدة أمينة السيد فى مقابلة عن حياة المرأة المصرية : « توجد نساء عاملات كمرشدات فى

الطرق البرقية ؛ تعتبر النساء أغلبية فى وزارة الصحة كما أنهن يشكلن 50 ٪ من عدد موظفى وزارة التعليم » ، فى الحقيقة انهن ممثلات فى كل وزارة تقريبا • فى العربية السعودية،والسودان،والاردن،حيث تعيش النساء بصورة عامة حياة استقلال اقتصادى توجد بعض علامات التحسن •

فى اقطار أخرى تلتحق النساء حتى بتلك الوظائف التى لم تكن مقبولة منذ عقد من الزمن • اثناء الثلاثين عاما الماضية كانت مهنة التمريض على سبيل المثال غير مقبولة اطلاقا وذلك بسبب طبيعة العمل وقلة ايراده ، وحديثا نجد ان عددا كبيرا من الفتيات المسلمات مارسن هذه المهنة • فالمراقبون الاجانب الذين زاروا بعض الاقطار الاسلامية دهشوا من العمل الجدى ومن شخصية وحماس المرأة المسلمة فى هذا المضمار • ذكرت الآنسة مجنوسن التى كانت تعمل ممرضة مستشارة للمكتب الجهوى لمنظمة الصحة العالمية : « كان لى الحظ ان ازور الباكستان وايران والعراق والاردن وسوريا ولبنان ومصر والحبشة ، لقد وجدت نساء على دراية كاملة بالاحتياجات الصحية لشعبهن ، فكن يعملن بجد لتحسين الوضع تحت ظروف غالبا ما كانت صعبة جدا »•

أكدت المستشارة المتقاعدة على الحاجة الى ممرضات متدرباب وكانت راضية عن التقدم الذى أنجز فى هذا الاتجاه • كانت متحمسة بصفة خاصة بصدد خطط وزارة الصحة المصرية من أجل تأسيس كلية للتمريض فى مصر بمساعدة موظفى منظمة الصحة العالمية بالاضافة الى عمل قسم للتمريض فى الوزارة نفسها • معظم سكان العالم الاسلامى من الريفيين • يوجد فى القرى حوالى 70 ٪ أو 80 ٪ من الناس الذين يعيشون باسلوب حياتهم المألوف ، وبمهنهم التقليدية • لذلك ليس من المبالغة ان قلنا ان نمو وتطور البلدان الاسلامية فى المستقبل سيقرره التطور الاقتصادى والاجتماعى لمناطق الريف • فالناس الذين يعيشون فى المناطق الريفية لهذه الامم النامية فى حاجة الى تقدير وعناية أكثر من جانب واضعى السياسة لان النزعة التقليدية متأصلة فى مثل هؤلاء الناس ، وعندهم توجد المجابهة الصلبة فى تطبيق برامج التنمية • كل يوم يمر بالنسبة لملايين من سكان اكواخ الطين يعتبر نسخة مطابقة للاصل عن اليوم السابق بالاضافة الى اختفاء كلمة « تغيير » من عباراتهم • يبدو ان

حياتهم بأكملها مفعمة بالهدوء وهم يعيشون طبق القواعد وقيم تقليدية ونزوع عاطفى ٠ لذا ، اذا أريد تحقيق التقدم الاجتماعى ـ الاقتصادى ككل ينبغى ان يعير المخططون فى العالم الاسلامى اهتماما بالغا الى سكان الريف ٠

السؤال الرئيسى بالنسبة للنساء فى المناطق الريفية هو : الى مدى والى أى حد يستطعن فهم العبارات : التقدم ، والتطور ، والتحول ؟ والمشكلة هى أنه حتى الرجال وحدهم يكادون لا يحسون بأى صوت بعيد للعاصفة التى تنذر بالتحول ٠ من الاهمية بمكان ان يكون الرجال والنساء فى المناطق الريفية متكاتفين لتحقيق التحول الاجتماعى والاقتصادى والا فان اهداف التقدم الوطنى تبقى وهمية ٠ تعتبر الامية أخطر تناقض فى حياة سكان الريف وأغلب الاميين هم من النساء ٠ لذا ، كل مخطط للتنشيط الوطنى ينبغى أن يبدأ بخطوات ايجابية لتعليم المرأة فى القرى ٠

اذا كانت البلدان الاسلامية راغبة فى تضييق الثغرة بين الرجال والنساء ، ينبغى عليها اتباع اجراءات خاصة فى حقل التعليم تعليم الكبار بالنسبة للنساء ٠ كان قد أوصى به كطريقة فعالة ومفيدة لاعطاء دفعة ، الى الامام بخصوص تعليم المرأة ٠ قامت المنظمة النسوية فى ايران بالتعاون مع اللجنة الوطنية لبرنامج محو الامية العالمى منذ عام 1972 بتنظيم عدة مشاريع لتعليم المرأة ٠ وهكذا تم افتتاح 114 من الصفوف للتعليم كمشروع رائد فى مقاطعات فارس،وخراسان،وكرمانشاه،ويزد ، وكل صف يحتوى على 20 ـ 25 طالبة ، ومدة الدراسة فى كل دورة لا تقل عن 280 ساعة ، ان خططا مشابهة فى تعليم النساء ممكن ان تكون مفيدة من أجل الاسراع فى تعليم المرأة فى البلدان الاسلامية الاخرى ٠

هناك طريقة فعالة للرفع من اسهم المرأة القروية ، وهى بمنحها الفرص حتى تكون قادرة على المساهمة فى الرفاهية الاقتصادية للمجتمع ٠ وللوصول الى هذا الهدف فى بلدان مثل الباكستان وغيرها فى العالم الاسلامى تم ادخال فكرة الصناعات المنزلية ٠ فى اطار هذا البرنامج تقوم الحكومة والمتطوعون بتقديم العون المادى والفنى للنساء فى القرى حتى يتسنى لهن عمل بعض الانواع من الصناعات المنزلية : النسيج

وتصنيع الجواهر، واللعب، والتطريز، والنقش، تعتبر من بعض الحرف التى تستطيع المرأة بسهولة تطويرها فى المنزل · وهكذا يمكن بيع هذه البضائع فى المدن الكبيرة والصغيرة ، وهذه التشكيلة المتناسقة للمزرعة والمعمل ممكن ان تنقذ حياة الملايين من مخالب الفقر المدقع ، الذى غالبا ما يسود المناطق الريفية للبلدان الفقيرة ·

بعد عام المرأة الدولى ظهرت بعض الشخصيات المرموقة من النســاء ، ففى عــام 1975 ظهرت السيدة ذاتشر ، كاول امرأة فى التاريخ الطويل للمنظمات الديمقراطية فى بريطانيا ، لتقود حزبا برلمانيا هاما · ولاول مرة فى الولايات المتحدة الامريكية تعين امرأة كرئيسة للبروتوكول · ومن المشجع جدا ان نجد لاول مرة امرأة تعين استاذة للشريعة الاسلامية · ستقوم الدكتورة كوثر كمال بتدريس الشريعة الاسلامية بجامعة الازهر المحافظة التى مضى على تأسيسها ألف عام ، وتعتبر أقدم جامعة فى الشرق الاوسط · تخوض الباكستان جهادا جبارا من أجل الدفاع عن حقوق المرأة · هنذ بدء عام المرأة الدولى ، ثم عقد كثير من المؤتمرات لتعبئة الرأى العام للدفاع عن قضية المرأة ، فاقيم معهد نسوى للقيام بابحاث حول قضايا المرأة فى مجتمعنا ، وسيكون هذا البحث جيدا وذا معنى تام اذ تم الاهتمام به ·

تم التحقق فى البلدان الاسلامية من ان استعادة المرأة المسلمة لاحترامها ومكانتها طبقا لما أقره الاسلام سيخلق ثورة اجتماعية ذات دلالة بعيدة · اذا ترجم ما كتب فى القرآن وتعاليم السنة ترجمة معقولة ، سيكون هناك ما يدعو الى الاعتقاد انه حتى الدوائر الاورثودوكسية سوف لن يكون لها أى اعتراض · وبعمل ذلك سيكــون المسلمون فى مختلف الاقطار قد قدموا خدمة كبيرة للاسلام · لقد نشر المراقبون الغربيون فكرة سفسطائية عن الاسلام مفادها أن الفلسفة الاجتماعية للاسلام ذات مفهوم ارتدادى · ومن بين هذه الاتهامات فى هذا المجال هى المكانة الغير لائقة التى منحتها لها المجتمعات الاسلامية · وباستعادة المرأة لمكانتها من الاحترام والتقدير طبقا لتعاليم الاسلام سيقوم المشرعون بتقديم جواب نموذجى على مثل هذه الادعاءات ·

مراجع

1 ـ بايار دوج : التربية العربية والشرق الاوسط . من أكاديمية العلوم السياسية . نيويورك 1952 .

2 ـ تحرير المرأة التركية : أ. فيتنان . باريس اليونسكو .

3 ـ نيويورك تايمس : النشرة الدولية . 21 أغسطس 1953 .

4 ـ ذو باكستان تايمس : لاهور . فاتح مارس 1953 .

5 ـ تعليق ميس مئوس ـ ممرضة ـ مجلس المكتب الجهوى للمنظمة العالمية للصحة . الى جويلية 1952 .

6 ـ النشاطات الادبية الاخيرة بايران . طهران 1973 . ص : 32 ـ 23 .

7 ـ باكستان تايمس . لاهور 8 جويلية 1975 .

بطـون الارض نعمـة وليست نقمـة (*)

د • محمـد رشيـدى
كاتب ، جاكرتا ـ (اندونيسيا)



فى أواخر القـــرن الخامس عشر قامت البرتغـال واسبانية باستكشافات جغرافية • واما البرتغاليون فزعيمهم الامير هنرى المشهور بهنرى البحار ، فقد كان يهتم بالملاحة ، يجمع الخرائط ، ويقرب اليه البحـارة الماهرين • وبالرغم من موت الامير هنرى المبكر فان جهوده قد انتجت ثمرات يانعة • فقد نجـــح البحار برثولوميوس Bartholomeus Diaz فى الملاحة حـــول رأس الرجاء الصالح فى سنة 1486 م • وكانت نيته ان يواصل سفره شرقا الى الهند ولكنه اضطر للرجوع الى لشبونة لان بحارته تمردوا عليه • وكان دياز يسمى ذلك الرأس ، رأس العواصف Cabo Termentoso ولكن ملك البرتغال ، الملك جون الثانى غير الاسم باسم رأس الرجاء الصالح تفاؤلا للوصول الى الهند • وحذت اسبانيا حذو البرتغال فارسلت البحار الايطالى كرستوف كولومب فى سنة 1492 ، فى رحلة أوصلته الى جزر الهند الغربية •

(*) محاضرة ألقاها فى الملتقى الحادى عشر للفكر الاسلامى بورقلة (ورجلان) •

وحسابا لما قد يحدث بين الدولتين الكاثوليكيتين من نزاع فى المستقبل حـــول الاستكشافات فان البابا اصدر مرسوما فى سنة 1493 مفاده ان ما يكتشف شرقى الخط الطولى الذى رسمه على الخريطة يكون ملكا للبرتغال وما يكتشف غربى الخـط المذكور يكون ملكا للاسبان •

وشعر البرتغال بان مرسوم البابا يجعل مناطق اكتشافاتها قريبة من الشواطىء الافريقية فعقدت اتفاقية جديدة مع اسبانيا تعرف باتفاقية توردسله Tordesilla فى سنة 1493 ، وبمقتضاها نقل الخط الطولى الفاصل الى الغرب قليلا • وقد خولت الاتفاقية الجديدة للبرتغال ان تدعى الملكية على البرازيل فيما بعد • ونتيجة لذلك فان البرازيل يتكلم سكانها باللغة البرتغالية حتى اليوم •

وواصلت البرتغال اكتشافاتها • فقد قام فسكو دى جاما (باكتشافات فى افريقيا سنة 1497 • ولما وصلت سفنه الاربع الى جزائر Cape Veroe توجه رأسا الى المحيط الهادى قاصدا رأس الرجاء الصالح • وهناك لقى بحارا عربيا استرشد به لدخـــول المحيط الهندى وزيارة شاطىء الهند الغربى • وقد وصل الى ذلك المحل بعد رحلـة دامت 23 يوما • وظن البرتغاليون ان الهنود مسيحيون لانهم كانوا يعتقدون ان من ليس مسلما فهو مسيحى ، ولكن لما شاركوا فى الاحتفالات الدينية وجدوا ان الهنود يعبدون صورا مخيفة ، اشخاصا لهم انياب طويلة خارجة من افواههم ولهم أيدى أربعة أو خمسة • ورجع فاسكو دى جاما الى لشبونة فى يولية سنة 1499 ، بعد ان فقد نصف سفنه وثلثى رجاله ، ولكن ارباح رحلته تساوى ستين ضعفا من نفقاتها • وبعد تلك الرحلة الناجحة استعمل ملك البرتغال لقب « ملك الفتوحات والاسفار البحريـــة والتجارة الخاصة بايثيوبيا والجزيرة العربية وبلاد فارس والصين •

واذا كان كرستوفر كولومبوس قد فتح اعين أوروبا الى القارة الامريكية وفاسكو دى جاما Vasco de Gama قد فتح الطريق الى الشرق الاقصى فان ماجلان Ferdinand Magellan قد ربط بين اجزاء العالم برحلته حول العالم بما جعل اسمه خالدا مع اسم كولومبوس وفاسكو دى جاما • فقد سافر ماجلان الى أمريكا الجنوبية وفى آخر اغسطس سنة 1520 وصل الى المكان الذى يعرف الآن بمضيق ماجلان • ومن هناك واصل رحلته غربا فى محيط ليس فيه موج فسماه ماجلان « المحيط الهادى » • وفى شهر مارس سنة 1521

وصل ماجلان الى جزائر الفليبين وهناك حدث قتال مع أهالى البلاد وقتل ماجلان . وواصل البحارة الذين رافقوه سفرهم الى المحيط الهندى ثم الى رأس الرجاء الصالح وأخيرا وصلوا الى اسبانيا فى سبتمبر سنة 1522 ، واستغرقت رحلتهم حول العالم ثلاث سنوات كاملة .

ماذا عمل الاسبان فى المناطق التى اكتشفوها ؟

أن الاكتشافات التى قامت بها اسبانيا قد خولتها حق ملكية معظم المناطق فى العالم الجديد ، يعنى الجزء الجنوبى من قارة أمريكا الشمالية ومعظم أمريكا الجنوبية وكذلك جزائر كثيرة فى المحيط الهادى . واذا كان البرتغاليون قد وجدوا المناطق التى اكتشفوها قليلة القيمة المادية فان الاسبان على العكس من ذلك وجدوا ثروة كبيرة فى المناطق التى اكتشفوها فى النصف الغربى من العالم .

ففى سنة 1519 قام بحار اسباني اسمه Hernando Cortes (1547 ـ 1485) بعمل استكشافات فى داخل المكسيك حيث كان يسمع عن وجود ثروة كبيرة فيها . هنالك فى بلاد المكسيك كانت تعيش قبيلة Aztecs تحت زعامة حاكمها Montezuma . وقد كان جيش Cortes مسلحا باسلحة من حديد ويستعمل البارود والحصان وشعر Montezuma بقوة العدو فارسل اليهم هدية هى عبارة عن قبعة حديدية مملوءة بتراب ذهب . وكانت الهدية تحدث عكس ما كان يقصده Montezuma فقد بعثت فى نفوس الاسبان طمعا شديدا للاستيلاء على معادن الذهب فى المكسيك ، فقاموا بهجوم عنيف على العاصمة واسمها Tenochtatlan فى سنة 1521 فانهارت مملكة Montezuma وسقطت فى أيدى الفاتحين أو Conquistador . وقام الاسبان بعملية نهب كبيرة أخرى فى Peru فقد قاد Francisco-Pizarro حملة على مملكة Incas حيث كانت فيها مدنية ممتازة اقامها شعب Incas . تظاهر Pizarro بالرغبة فى ترتيب مقابلة مع امبراطور Incas فى مكان ما . ولما جاء الامبراطور مع حرس صغير خانه Pizarro والقى القبض عليه . واشترط Pizarro لاطلاق سراح الامبراطور ان يعطى هذا الاخير غرفة طولها 22 قدما وعرضها 17 قدما يملأ نصفها الاسفل بالاوانى

الذهبية • ويملأ نصفها الاعلى بالفضة • وبعد ان استلم Pizarro تلك الثروة الهائلة خان الامبراطور مرة أخرى فلم يرض باطلاق سراحه كما وعد بل وجه اليه تهما كثيرة مصطنعة واصدر الحكم باعدامه حرقا • وتحايل الامبراطور للنجاة من العذاب الذى لا يستحقه فتنصر ، فلم ينفعه تنصره بل عذبه عذابا حتى مات • وبموت امبراطور Incas استطاع Pizarro الاسبانى الدخول الى عاصمة بلاد Incas حيث نهب ثروات أخرى عظيمة • وأخيرا بنى Pizarro عاصمة جديدة هى مدينة Lima التى لا تزال موجودة حتى اليوم • وقد اضطر Pizarro لمحاربة شعب Incas سنين طويلة لان شعب Incas يريد ان ينتقم لحرمته وحريته التى سلبها Pizarro ولكن تقرر نصيب أمريكا الجنوبية حيث وقعت تحت نير الحكم الاسبانى الظالم • الا البرازيل التى وقعت تحت سيادة البرتغاليـين •

الانجليز والفرنسيون والهولنديون

ان مرسوم البابا لتقسيم العالم بين اسبانيا والبرتغال فى سنة 1493 والمعاهدة التى عقدت فى سنة 1494 لتعديل ذلك المرسوم قد أوقد فى صدور الدول الاوروبية رغبة للاستكشافات الجغرافية •

ففى سنة 1497 قام البحار الايطالى الذى كان يشتغل لحساب الانجليز واسمه John Cabot برحلة فى شمال المحيط الاطلنطى وبعد رحلة دامت ستة اسابيع وصل الى الشاطىء الشمالى من قارة أمريكا • ولما رجع الى بريطانيا عين أمير البحر Admiral واعطاه الملك هنرى السابع المشهور ببخله مبلغ عشرة جنيهات حق القيام برحلة أخرى • وقد كانت رحلة John Cabot اساسا لادعاء بريطانيا ملكية كندا Canada و New-Found Land و Labrador و 13 مستعمرة فى الشاطىء الاطلنطى من القارة الامريكية •

واما الفرنسيون فقد قام البحار Jacque Cartier باستكشاف طريق الى الشرق من شمال أمريكا ، ولكن كل ما وجده هو نهر St. Lawrence العظيم وبذلك استطاع الفرنسيون ادعاء ملكية الجزء الشرقى من أمريكا الشمالية و Novascotia و Quebec, •

وقام La Salle باسكتشاف نهر Mississippi. حتى خليج المكسيك ولاجل ذلك ادعت فرنسا بملكية جميع وادى Mississipi .

وهؤلاء الاوروبيون المسيحيون الوافدون الى القارة الجديدة من الاسبان والبرتغاليين والبريطانيين والفرنسيين كانوا ينظرون الى المواطنين الاصليين فى القارة الجديدة نظرة الاحتقار والازدراء ، وكانوا يقولون : The only good Indian is dead Indian أى ان المواطن الاصلى (الهندى) الطيب هو الهندى الميت •

واما الهولنديون فقد قاموا برحلات تجارية نتيجة لظـــروف سياسية • كان الهولنديون يشترون التوابل من البرتغاليين فى لشبونة ولكن فى سنة 1580 استولى ملك اسبانيا على البرتغال واقفل تجارة لشبونة فى وجه الهولنديين •

ونتيجة لذلك تحركت قلوب الهولنديين للقيام برحلة تجارية الى الشرق لشراء البضائع من أهالى البلاد رأسا بدلا من شرائها من البرتغاليين بثمن مرتفع •

وقد أسس الهولنديون شركة الهند الشرقية فى 22 مارس سنة 1602 وحصلت الشركة على امتياز احتكار الملاحة بين اندونيسيا وهولندا كما حصلت على امتياز استعمال الاسلحة لاخضاع أهالى اندونيسيا • وكانت أول رحلة للشركة فى 17 يونية سنة 1602 بثمانية سفن شراعية تحت قيـــادة Van Warnijk ، وقد استطاع هذا الرجل الرجوع الى بلاده سالما فى يونية سنة 1607 ، بعد ان استغرقت رحلته خمس سنوات كاملة بارباح طائلة •

وكان امتياز الشركة لمدة 21 سنة وقد جدد الامتياز أثنى عشرة مرة وقد بلغ نجاح الشركة ان ارتفع ثمن اسهمها الى 750 ٪ فى احدى السنوات •

ولما اتسع نشاط الشركة عينت ادارة شركة الهند الشرقية فى هولندا حاكـما عاما لها فى اندونيسيا • وكان اكبر هؤلاء الحكام Jean Pieterzoon Coen الذى عين فى 31 ابريل سنة 1618 • وكان من ضمن التعليمات التى استلمها من ادارة الشركة المركزية انه كحاكم عام يجب عليه تجهيز الوسائل اللازمة لنشر الديانة المسيحية •

والحاكم العام Coen هذا هو الذى أسس Batavia الذى أصبح الآن عاصمـة اندونيسيا واعيد اليها اسمها القديم «جاكرتا» • وكانت المدينة مرفاء تحت سلطة حاكم

وطنى فاستولى الهولنديون عليها بالقوة فى 30 مايو سنة 1619 · ومنذ ذلك الوقت أصبحت باتافيا مركزا لنشاط شركة الهند الشرقية وتنسيق اعمالها ·

فالتجارة التى تقوم بها شركة الهند الشرقية هى تجارة مسلحة فهى غصب ونهب أكثر منها تجارة لانها مؤسسة على الاحتكار ·

مأساة جزيرة « باندا »

كل أعمال شركة الهند الشرقية الهولندية أعمال نهب وغصب · هى تشترى البضائع ولكن هى التى تقرر ثمنها واما البائع والمنتج فليس له حق التسعير واذا رفض بيع بضاعته فويل له من انتقام الشركة · واذا جاء مشتر آخر مستعد لاعطائه ثمنا معقولا فويل له أيضا من انتقام الشركة الهولندية التى ادعت الاحتكار فى تجارة التوابل ·

وهناك مآسى كثيرة فى أنحاء اندونيسيا اقترفتها الايدى الآثيمة لشركة الهند الشرقية الهولندية ولكنى سأذكر مآساة واحدة بلغت من فظاعتها ما تقشعر منه الجلود وهى مأساة جزيرة باندا ·

جزيرة باندا جزيرة صغيرة فى الجزء الشرقى من اندونيسيا وهى غنية بزراعة القرنفل وجوز الطيب وغيره من التوابل ·

ونظرا لثروة الجزيرة فقد فرضت الشركة الهولندية الاحتكار على سكان الجزيرة بحيث ليس لهم حق بيع حاصلاتهم الا الى الهولنديين · وقد حدث نزاع بين الهولنديين والانجليز حول شراء البضائع من جزيرة باندا ولكن النزاع قد سوى باتفاقية فى 17 يولية سنة 1619 ، ومقتضاها ان الهولنديين والانجليز سيتعاونون لتنزيل الضرائب التى تفرضها الحكومات فى اندونيسيا وتنزيل اسعار التوابل التى يبيعها الاهالى وكل من الهولنديين والانجليز لهم حق شراء نصف المحصول ·

واما فى جزيرة الملوك وامبون وباندا فالانجليز لهم حق شراء الثلث · وممنوع على كل فئة ان تتعاقد مع فئة ثالثة ·

غير أن الاتفاقية بين الهولنديين والانجليز اتفاقية غير [illegible] [illegible]

[illegible] حقوق الاستثمار [illegible] الفرصة [illegible]

جزيرة [illegible] محصولاتهم [illegible] بثمن أعلى مما يدفعه الهولنديون [illegible]

قانون العرض والطلب باع سكان جزيرة باندا محصولاتهم الى الانجليز .

وفى [illegible] Jan Pieterszoon Coen [illegible] 24 [illegible]

[illegible]

[illegible]

سنة 1621 الى جزيرة باندا ومعه ألف وخمسمائة جندى فى 12 سفينة . ولما وصل الى جزيرة [illegible] Coen ان الانجليز قد اعطوا [illegible] الى الاهالى ليدافعوا عن [illegible] .

[illegible] باندا يريدون السلام [illegible] الصلح . وبدأ الهولنديون هجومهم على أهالى باندا فى 4 مارس سنة 1621 [illegible] هؤلاء الناس محصولاتهم الى البرتغاليين وفى الوقت نفسه [illegible] الهولنديون سفينة برتغالية مملوءة بذلك [illegible] .

وفى [illegible] 7 مارس سنة 1621 [illegible] Coen على جزيرة باندا من الشمال [illegible] الجنوبى من الجزيرة فاستطاع [illegible] دفاع الاهالى

وقد [illegible] الاهالى من [illegible] الصلح ولكن Coen وضع شروطا ثقيلة للصلح وهى :

أولا : على أهالى جزيرة باندا ان [illegible] الى الهولنديين .

ثانيا : [illegible] .

وثالثا : على [illegible] جزيرة باندا [illegible] من ابنائهم ليكونوا ضمانا على [illegible] . وقد اضطروا أهالى باندا للموافقة على تلك الشروط الثقيلة .

الا ان قبيلة واحدة من سكان منطقة تسمى « سلمان » لم ترض بالخضوع الى الهولنديين كما ان بعض سكان منطقة أخرى « هي [illegible] » التجأوا الى الجبال [illegible] هناك تحصينات بمساعدة سكان جزر اخرى . وقد عاقب Coen سكان « سلمان » [illegible] مدينتهم واغراق سفنهم والقاء القبض عليهم كلهم جميعا وعددهم 789 شخصا وارسلهم الى باتافيا (جاكرتا) ليكونوا عبيدا [illegible] شخصا [illegible] الرؤساء ضمانا لتنفيذ سياسته في البلاد.

واما هؤلاء الذين قد احتصنوا في الجبال [illegible] Coen [illegible] لاخضاعهم ، لكن هؤلاء دافعوا عن [illegible] فارتد الهولنديون من حيث أتوا [illegible] في الجبال كانوا على اتفاق مع الرؤساء 47 الذين [illegible] هؤلاء الرؤساء السبعة والاربعين . أمر Coen [illegible] وقتل الباقي وهم 44 شخصا [illegible] سنة 1620 . وهاجر من [illegible] في سفن صغيرة .

واما هؤلاء الذين تحصنوا [illegible] حيث منع وصول الامدادات [illegible] ذهب Martinus Sonck الى الجبل ومعه 400 [illegible] ولم يلاق Sonck أية مقاومة لان الذين لم [illegible] أصبحوا [illegible] ملابس تقيهم البرد ولم يكن لهم مؤنة طعام . ومعظم الجماعة قد ماتوا جوعا وبردا . ووجد Martinus Sonck على الجبل التي كوخ وحوالي 1500 مقبرة كما وجد تسعة جثث لم تدفن بعد ومن بينها جثة امرأة وطفلة . واستمر Sonck في البحث عن [illegible] من الاهالي المدافعين عن حقهم ، فوجد [illegible] Sonck ذلك الحصن الصغير وقتل منهم اربعين رجلا واسر سبعة رجال احياء و66 امرأة وطفلا واحـــدا .

ولم تنته مآساة باندا بذلك ، فقد علم Martinus Sonck ان هناك اشخاصا ارادوا الهجرة من تلك الجزيرة التعسة الى جزيرة أخرى حيث لم يطيقوا ظلم شركة الهند الشرقية فأوقفهم Martinus Sonck لانه خاف ان يفقد الايدى العاملة للعناية باشجار القرنفل وجوز الطيب . ولما اصر هؤلاء الناس وعددهم 160 رجلا على الهجرة حكم Sonck عليهم بالاعدام فاعدموا جميعا . وبعد الانتهاء من تلك الجريمة الشنيعة استلم Martinus Sonck رسالة من الحاكم العام Coen رسالة تحتوى على تهنئة حارة « لقد قمت بعمل عظيم » .

لقد افنت الشركة الهولندية جميع سكان جزيرة باندا الغنية بالقرنفل وجوز الطيب واستولت الشركة على الجزيرة وقسمت أراضيها على موظفى الشركة ليقوموا بزراعة التوابل مع العبيد ثم يبيعوا حاصلاتهم الى الشركة .

أيها السادة ، لقد ذكرت لكم قصة شعب Aztecs وشعب Incas فى أمريكا الجنوبية وكيف سلب الاسبان ثروتهم كما ذكرت لكم قصة سكان جزيرة باندا فى اندونيسيا وكيف نهب الهولنديون ثروتهم بل وكيف أبادوهم عن آخرهم ولم اذكر حوادث الهند ومناطق افريقيا ، كما لم اذكر كيف يعانى هنود أمريكا وسكان استراليا وتسمانيا الاصليون من معاملة الاوروبيين القادمين وكيف حرموهم من أراضيهم بل من حياتهم ، كما لم اذكر شيئا من تاريخ الاستعمار الحديث وكيف اعلنت فرنسا حمايتها على مراكش وتونس وكيف ضمت الجزائر اليها كجزء لا ينفصل من فرنسا وكيف اقتسم الايطاليون والفرنسيون والانجليز أرض ليبيا . ولكن ما ذكرت من التاريخ البعيد يكفى لتنبيه الاذهان الى ظلم الانسان للانسان .

ولو اننا قصرنا النظر الى التاريخ فقط لاستنتجنا ان بطون الارض أو ما عليها من خيرات نقمة ، ولو اننا قصرنا على التاريخ فقط لاستنتجنا بان القوة هى كل شيء . القوة هى التى تفرض ارادة القوى على الضعيف ، والقوة هى التى تجعل الظلم عدلا ، وتجعل الخيانة امانة وهى التى تجعل الخبيث طيبا والطيب خبيثا .

ولكننا والحمد لله اناس مسلمون قد انعم الله علينا بنعمة الاسلام والايمان . والاسلام لا يقول بان بطون الارض نقمة ، ولكن الله يقول فى القرآن الكريم : « **وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه** » (سورة الجاثية ، آية 13) .

ويقول أيضا فى سورة محمد : « **ولو شاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قاتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم ، سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم** » (الآية 4) ٠

ويقول فى سورة الشورى : « **والذين اذا اصابهم البغى هم ينتصرون وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفى واصلح فأجره على الله انه لا يحب الظالمين،ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل** » ٠

لقد كان ما ذكرت من تاريخ شعب Aztecs وشعب Incas فى أمريكا الجنوبية وتاريخ سكان جزيرة باندا فى اندونيسيا صفحة من تاريخ القرن السادس عشر ٠ ولقد تطور العالم تطورا كبيرا منذ عهد الاستكشافات الجغرافية ونهب اسبانيا لشعب Aztecs وشعب Incas ونهب هولندا لشعب باندا ٠ وظهر Hugo Grotius الهولندى كاول من كتب فى القانون الدولى ، ثم انشئت عصبة الامم بعد الحرب العالمية الاولى وانشئت هيئة الامم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية ٠ ولكن لا عصبة الامم ولا هيئة الامم المتحدة تستطيع منع تعدى أمة على أخرى كما كنا نرجو ٠

ولكن مالنا والقانون الدولى ومالنا وعصبة الامم وهيئة الامم المتحدة ٠ ان لنا نحن المسلمين الفرقان الذى يفصل بين الحق والباطل وان لنا لذكرا مباركا انزله الله تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة للعالمين ٠ والقرآن يرشدنا بالاستعداد بالقوة ، يقول الله تعالى فى سورة الانفال : « **واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم** » ٠

فواجب المسلمين ان يستثمروا ثروة بلادهم ويحافظوا على بلادهم الذى انعم الله به عليهم ثم يحاولوا تعميم الامن والسلام والتعاون بين الامم ٠

لقد اظهرت الايام ان للاسلام قوة فهذا بترول العالم فى بطون أرض المسلمين من المملكة العربية السعودية ، وايران ، وليبيا ، والجزائر ، واندونيسيا وهذا فسفات فى شمال افريقيا ومعادن أخرى كثيرة فى اندونيسيا ٠ ولئن شعر كل بلاد بان الثروة التى فى أرضه ليست ثروتهم الخاصة ولكنها مال الله الذى أتاهم وينفق للخير المشترك

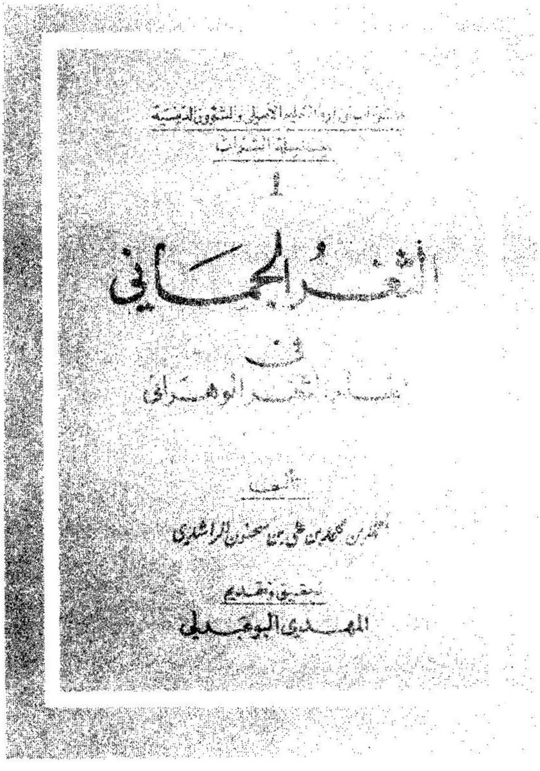
بين الامم الاسلامية فان ذلك من صميم تعاليم الاسلام ٠ وأول ذلك الخير المشترك هو العناية بالدين الاسلامى أو التوعية الاسلامية ٠

أن النعمة التى انعم الله بها على بعض الامم الاسلامية فى شكل ينابيع البترول الغزيرة يجب ان يخصص جزء منها لتكوين رأس مال روحى لا ينضب يكون تحت تصرف لجنة من زعماء الدعوة الاسلامية النزهاء و ينفق لاجل نشر الوعى الاسلامى بين المسلمين أنفسهم ، حتى لاتؤثر فيهم الدعوات الدينية المخالفة ولا العلمانية الهدامة ٠

فاذا استطعنا ان نحقق هذه الفكرة فكرة انشاء مصدر مالى لا ينضب للتوعية الاسلامية فان ما فى بطون الارض هى نعمة لنا سيتيح لنا فرصة لشكر الله على نعمائه ، « **واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد** » (سورة ابراهيم ، آية 7) ٠

منشورات

وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية



ملاحظـــات حــول الملــتقى الحادى عشر للفكر الاسلامى ورجلان ـ ورقلة

د. خير الله عصار
(سوريا)
جامعة عنابة ـ الجزائر



1 ـ استقبلت ولايـة الصحراء الجميلة ، ورجـلان (ورقلة) سدراتة ، المشاركين فى الملتقى الحادى عشر للفكر الاسلامى أحسن استقبال ، فلبست لهذه المناسبة الفكرية المجيدة ، حلة بهيجة أضاءتها شمس الصحراء الدافئة ٠ أما ليلا ، فلا تسل عن الانوار المتلألئة الملونة، وعن عبارات الترحيب العديدة المعلقة هنا وهناك ، تعبر عن صميم الضيافة العربية التقليدية التي بلت بأحسن شكل وبأوضح صورة ٠

الصحراء التى تعصف بزائريها صيفها حاملة اليهم الرمال الناعمة فتغطى ثيـابهم وتتغلغل فى ثنايا أجسامهم ، كانت لامعة ، دافئة تبتسم فرحا وجذلا ٠ ولهذا فقد كان الجو الطبيعى عاملا مسهلا،ومنعشا ، فتفجرت القرائح وساد الحماس الفكرى ، بشكل لم تحظ مثله الملتقيات السابقة التى (حسبما أعلم) لم تنج من لدغة الحر،ووخزة البرد، وخشية الفيضان ٠

2 ـ لم يحدث أن اهتمت سلطات ولاية ما ، عقد الملتقى فى مقر ولايتها ، بقدر ما اهتمت سلطات ولاية ورقلة بالملتقى الحادى عشر ٠

فلم يكتف واليها بحضور جلسة الافتتاح وجلسة الاختتام كما جرت العادة ، بل كان حاضرا فى كل صغيرة وكبيرة منذ الساعة الاولى حتى آخر لحظة • كان يشرف ويوجه،ويلاحظ ، ويتخذ الاجراءات لتحسين ما خطط له مسبقا اذا بدت امكانيات للتحسين • وغالبا ما رأيته يقترب من الطلاب والطالبات والاساتذة والاستاذات ويسألهم ان لاحظوا نقصا أو كانوا بحاجة الى شىء • كان يفعل كل هذا وابتسامته لا تفارق محياه ، وكأنه أب يحنو على أولاده الذين يزورونه مرة واحدة فى العمر •

3 ـ فى غرداية،والاغواط،وحاسى مسعود،وغيرها من الاماكن التى زارها المشاركون، كان كل شىء قد أعد تنظيمه وترتيبه ، وبشكل خلق ارتياحا تاما عند الجميع •

كنت أصغى من آن الى آخر الى انطباعات الضيوف وتعليقاتهم ، فلم أسمع الا كلمات الارتياح والثناء على حسن التنظيم الدقيق •

4 ـ أما بالنسبة للمشرفين على تنفيذ النشاطات اليومية للملتقى ، أى موظفى وزارة الشؤون الدينية ، فقد بذلوا قصارى جهدهم للقيام بواجباتهم على أدق وأكمل وجه.

فمنذ أن تطأ قدما المشارك أرض الجزائر ، يستقبله موظف من الوزارة باسم الوجه ثم يؤمن له ولمتاعه وسيلة النقل الى الفندق ، حيث يستقبله هناك موظف آخر يؤمن له اقامته الكاملة ويعلمه عن موعد سفره • وعندما تحين ساعة السفر الى ورقلة ، سواء كانت ليلا أو نهارا ، تجد الموظفين المشرفين قد هيأوا كل شىء (السيارة ، البطاقة ، المتاع ، الخ ••) يمتطى المشارك الطائرة ، وبعد بعض الزمن ، ينزل حيث يستقبل مرة أخرى فى ورقلة (سدراته) بنفس الحفاوة،والدقة،والتنظيم •

ان الاهتمام بدقائق الامور التنظيمية ، قد خلق جو ارتياح تام فى الملتقى ، وأعطى صورة مشرقة للجزائر الثورة ولسلطاتها • فالذين أشرفوا،وخدموا،وساهموا على راحة المشاركين يستحقون كل تقدير وكل شكر ـ لولاهم لحدث تلكؤ ولتعثر سير الملتقى ـ

5 ـ حاول الملتقى ان يتغلب على صعوبات اللغة هذه المرة ، ففتح المجال لكل مشارك غير متعرب كى يفهم ما يجرى بلغته، لقد كانت هناك ترجمة فورية من ، والى العربية ،والفرنسية ،والالمانية ،والانكليزية ،والاسبانية •

صادفت عملية التنفيذ الجيد لهذه الترجمة الفورية ، بعض الصعوبات التى تعود بالدرجة الاولى الى سرعة القاء المحاضرين وسرعة تكلم المناقشين كأن البعض منهم يريد أن يصب أكبر عدد ممكن من الكلمات فى اقصر وحدة زمنية فتعذرت الترجمة وتعذر الفهم أيضا . لقد تناسى البعض أن القدرة الانسانية على نقل فكرة من لغة الى لغة أخرى لها حدود ، لهذا كان من الضرورى أن يحدث التدخل من جانب المشرفين وذلك من أجل التخفيف من السرعة الصاروخية التي كانت فيها الكلمات تصدر من أفواه المتكلمين .

من الممكن أن يكون عند المترجم زر يضغطه ، فيشعل بذلك مصباحا أحمر يثبت على المنصة أمام المتكلم الواقف على المنبر . وبذلك يحذر المتكلم أن سرعته تجاوزت الحدود ويجب عليه أن يستعمل مكابحه .

لا غرابة اذا حدث تدخل للتخفيف من سرعة القاء المتكلم ، المحاضر ، والمناقش . فمترجمو الامم المتحدة (مجلس الامن) ، الذين يعتبرون من أفضل مترجمي العالم قاطبة ، يتدخلون للتخفيف من سرعة بعض المتكلمين . ان تحول المترجم الى عقل اليكترونى يقوم بترجمة حوالى مائه كلمة فى الدقيقة (وهى سرعة الكلام عند بعض المتكلمين فى الملتقى) هو مستحيل ، وان التوصيات المسبقة لا تجدى نفعا ، اذن فلابد من التدخل لكبح جماح سيل الكلمات حتى لو أدى هذا التدخل الى ازعاج البعض من المتكلمين .

6 ـ لا شك أن الطلبة والطالبات عنصر هام فى الملتقى . ويتصور البعض أنه لولا حاجة النشء الجديد الى فهم أصول الاسلام وفهم المشكلات التي تواجهه ، لما عقد الملتقي أصلا .

لذا يجب أن توزع المحاضرات على الطلبة والطالبات فى نفس الوقت الذى توزع فيه على الاساتذة ، لقد تلافت ادارة الملتقى هذا النقص فى مرحلة مبكرة ، وحالما لوحظ النقص .

7 ـ على الرغم من تكرار اذاعة طلبات التلاميذ والتلميذات من أجل أن يلتقوا والمحاضرين والمحاضرات وغيرهم (بعد العشاء) فلم يستطع البعض منهم أن يلبى كل الطلبات المذاعة • ويعود السبب الى عدم وجود وقت ما يسمى « ما بعد العشاء » •

فى غالب الاحيان تنتهى النقاشات فى ساعة متأخرة ، ثم يتبعها العشاء ـ وفجأة يلاحظ أن الساعة قد تجاوزت الحادية عشر ليلا • وعليه لا يعد ممكنا للاستاذ المتعب (حتى لو كان شابا) أن يتابع النقاش مع الطلبة والطالبات بعد هذا الوقت •

يقترح أن يخصص يوم أو نصف يوم للقاءات بين الاساتذة والطلبة ، وبهذا يستطيع الجانبان أن يناقشا ما يشاءان بدون تعب •

8 ـ سبعة شهور تفصل بين الملتقى العاشر والملتقى الحادى عشر كانت غير كافية • ولولا الادارة الجبارة ، والتصميم الحازم من جانب المسؤولين عن تنظيم الملتقى، لما أمكن له أن يعقد • وقد انعكس هذا على بعض المحاضرين الذين لم يكن عندهم أكثر من أسبوعين لتحضير محاضراتهم • نتيجة لهذا بدت بعض المحاضرات وكأنها مجرد تأملات حول المواضيع المطروحة •

ان اعطاء المحاضر فترة أطول كي يعد محاضرته بهدوء يجعل من الممكن أن تكون بعض المحاضرات فعلا بحوثا فكرية معمقة •

9 ـ يلاحظ غياب الصحافة غير الجزائرية.لم يكن هناك مراسلو الصحف والمجلات من المشرق العربى وأوروبا كما جرت العادة •

أجل فقد قامت الصحافة الجزائرية بواجبها خير قيام لكن هذا لا يكفى •

يا حبذا لو أرسلت دعوات الى بعض المجلات والصحف الاوروبية وبعض العاملين فى الاعلام فى الشرق العربى والشرق الاقصى وذلك من أجل تغطية هذه التظاهرة الفكرية الهامة واعطاءها حقها من الذيوع والانتشار • (1)

---

(1) عكس ما ذكر كاتب المقال ، فقد دعيت الى الملتقى عدة صحف ، ومجلات عربية ، واسلامية ، أووروبية .

وقد نشرنا فى عددى 45 و 46 من مجلة الاصالة ، تحت عنوان : من اصداء الملتقى الحادى عشر للفكر الاسلامى ، ما نشرته بعض هذه الصحف ، والمجلات العربية ، والاوروبية عن الملتقى ، وسنوالى فى الاعداد القادمة نشر البعض الآخر •

10 ـ يجب أن ننوه شاكرين بوجود وفد من مسلمي الاتحاد السوفييتي ، وذلك لاول مرة (حسبما أعلم) • وبذلك يمد الملتقى يديه الى كل المسلمين فى قاصى الدنيا ودانيها ، داعيا،ومرحبا،ومناقشا •

11 ـ مما يثلج الصدر أن نلاحظ أن الملتقى قد تناول قضايا هامة ، كمسألة المرأة، ومسألة ثروات الارض • وهذه بادرة حسنة تدل على أن الباحثين المسلمين يتجهون أكثر وأكثرة نحو التركيز على قضايا العصر •

يؤمل أن يعالج الملتقى القادم مواضيع هامة أخرى مثلا ، « الاسلام ومشاكل الشباب فى العصر الحاضر» (1)، «كيف يمكن توحيد العالم الاسلامى ؟» (2) وهكذا •

12 ـ اذا تصفحنا برنامج الملتقى الذى نحن بصدده ، لوجدنا مثلا الدكتور عبد الكريم سايتوح ، أستاذ الاقتصاد بجامعة تاكاشوكو ـ طوكيو (اليابان) ، مكلف بمحاضرة عن « المرأة بعد عام المرأة » ، ولوجدنا الدكتور صلاح الصاوى استاذ بكلية الآداب والعلوم الانسانية ، جامعة طهران (ايران) قد كلف بمحاضرة حول « هل بطون الارض نعمة أم نقمة ؟ » • (3)

لقد كان من المفيد أن يخبرنا الدكتور سايتوح عن نعمة أم نقمة بطون الارض فى بلاد اليابان ، تلك البلاد التي إستطاعت أن تضاهى باقتصادها معظم دول العالم مجتمعة ، وكان من الافيد أيضا أن يجتهد الدكتور الصاوى في موضوع المرأة فهو أقرب فى تصوفه الى موضوع انسانى اجتماعى كهذا •

ودائما فى اطار البرنامج المطبوع ، فمن المفيد أن نذكر ضرورة تبيان اختصاص المحاضر، وذلك لمقارنته بموضوع المحاضرة فلا يكتفي بذكر اسم المؤسسة التى يعمل فيها كما يبدو من البرنامج •

---

(1) طرق هذا الموضوع فى الملتقى الخامس فى وهران بهذه الصيغة :
«الاسلام ومشاكل الاسرة وتربية الجيل فى عالم اليوم»•

(2) طرق هذا الموضوع فى الملتقى السابع لتعرف على الفكر الاسلامى فى تيزى وزو بالصيغة التالية : « المؤامرات التى تعرضت لها وحدة الامة الاسلامية ، ويتعرض لها ما تبقى منها اليوم ، من طرف الصهيونية وغيرها ، وما يجب علينا حيال ذلك » .

(3) ليس هناك تكليف ، بل الاستاذ المدعو حر فى اختيار الموضوع الذى يتراءى له فى اطار جدول أعمال الملتقى .

13 ـ وتعقيبا على النقطة السابقة يلاحظ أيضا غياب أسماء محاضرين فى حقل علم الاجتماع ، وحقل علم النفس ٠ ان موضوع المرأة يجب تناوله من قبل عالم اجتماع أو عالم نفس أو عالم أنثرويولوجيا،وليس من قبل المؤرخين والاقتصاديين فقط ٠

14 ـ لا شك أن وجود المحاضرات اللواتى تناولن موضوع المرأة يعتبر نقطة حسنة وبادرة طيبة لان ذلك يعطى المرأة نفسها الفرصة كى تتكلم عن نفسها وعن زميلاتها ٠ وقد أحسنت المتكلمات فى شرح وجهة نظرهن خاصة السيدة زهور ونيسى التى عبرت عن ارهاصات المرأة الجزائرية فى العصر الحديث أما السيدة كزافيير غوتيى ، كاتبة فرنسية ، فقد عبرت عما يجرى فى أعماق لاشعور المرأة الاوروبية بعد أن خطت خطوات كبيرة فى طريق التحرر الكامل ٠

15 ـ على الرغم من المحاضرات التى تجاوزت العشرين حول المرأة ، فان عنوان النقطة « المرأة بعد عام المرأة » قد بقى غامضا ٠ ويعود السبب فى رأينا الى أن العنوان (أى الموضوع) نفسه واسع وغامض ٠ لقد كان من الافضل مثلا أن يدرس الموضوع ويحلل الى مواضيع جزئية متكاملة يتناول كل باحث جانبا يتفق مع اختصاصه ٠ فليكن مثلا أحد علماء النفس فى جامعة جزائرية أو عربية ، يعالج لنا موضوع : « نفسية المرأة » ٠ وليعالج طبيب ما موضوع : « تكوين جسد المرأة وتأثيره على نشاطاتها ودورها الاجتماعى » ٠

أما أحد علماء الاقتصاد فيمكنه أن يعالج قضية : « عمل المرأة فى المصانع اليوم » وربما أحد المربين يعالج مشكلة « المرأة وتربية الطفل » وهكذا ٠

16 ـ وما قلناه حول ضرورة تحديد المواضيع بالنسبة للمرأة ، ينطبق على « هل ما فى بطون الارض نعمة أم نقمة ؟ » ٠

فيا حبذا لو كانت هناك محاضرة من اقتصادى مختص فى شؤون البترول حول : « البترول والشركات الاحتكارية الغربية فى الماضى والحاضر » ! وكان بودنا أن نصغى الى محاضرة حول : « ثروات افريقيا والدول الغربية فى الوقت الحاضر » ٠ أما تجربة الجزائر فى كفاحها ضد المستعمر الذى أراد أن يرحل « عسكريا » كارها ، ويبقى له وجود اقتصادى يتمثل فى سيطرته على آبار البترول والغاز ، فتستحق هذه التجربة أكثر من محاضرة ٠ وبذلك يمكننا أن نرى بعين العقل كيف أن ما فى بطون الارض

نعمة خلقها الله للانسان ، لكن أطماع الانسان وجشعه والامبريالية قد حاولت أن يجعل منها نقمة بالنسبة للشعوب التى اكتشفت فى أراضيها .

17 ـ انَّ تسعا وثلاثين محاضرة تلقى فى مدة ثمانية أيام ، بمعدل خمس محاضرات فى اليوم ، تبدو كثيرة . لقد كان الوقت المخصص للنقاش دائما قصيرا على الرغم من أن المخصص للمحاضر قد هبط من 45 دقيقة (فى الملتقيات السابقة) الى 30 دقيقة فى الملتقى الذى نحن بصدده الآن .

فيا حبذا لو انقص عدد المحاضرات الى النصف مثلا ، وزيدت المدة المخصصة للمناقشين . لقد شكى أكثر المناقشين من عدم وجود الوقت الكافى للتعبير عما يجول فى خاطرهم على الرغم من أن بعض المناقشات كانت شططا .

اني اعتقد جازما انَّ ملتقيات الفكر الاسلامى هى أكثر المؤتمرات والملتقيات جدية وعمقا . انها المؤتمرات التى يخصص من الوقت فيها للنقاش ، وللحوار، والالقاء ، أكثر مما يخصص من الوقت للحفلات والاستقبالات والثانويات من الامور كما يحدث عادة .

ان الملتقى الحادى عشر للفكر الاسلامى ندوة ثقافية يتعدى تأثيرها حدود النخبة ليصل الى التلاميذ ، الى رجال المستقبل الذين تنتظرهم الثورة . ان الملتقى الحادى عشر للفكر الاسلامي جسر دام نصبه عشرة أيام ليصل بين فئات الشعب التى هى فى طور التثقيف وبين أفضل العقول تقريبا التى يمكن أن نأتى بها الى أرض الجزائر للاصغاء، والحوار، ومعالجة مشاكل مازالت تؤز أجزاء عديدة من العالم أزا .

ان الملتقى الحادى عشر للفكر الاسلامى تظاهرة ثقافية ، تنبثق مرة فى العام ، لكن ضوءها يستمر في الاشعاع والتلألؤ على مدى أشهر بل سنين عديدة .

فشكرا لكل من ساهم ، وشكرا لكل من أشرف ، وشكرا للجزائر التى تعرف كيف تخدم الاسلام والمسلمين بحسب روح العصر ومتطلباته .

ابن عبد ربه :
حياته ، وشعره (1)

عيسى موسى محمد
باحث ــ المكتبة الوطنية



من المفيد فى البداية أن أبين الاسباب التى دفعتنى الى اختيار الموضوع وهى كما يلى :

أولا : دافع قديم تكون عندى لما كنت فى الجامعة حيث وجهنى أستاذ الادب الاندلسى الى الاهتمام بهذا الادب لحاجته الى مزيد من البحث والعناية .

ثانيا : أهمية الفترة التى تناولتها فهى تتيح لى التعرف على الادب الاندلسى فى أصوله الاولى تمهيدا لاستئناف البحث فى الفترات اللاحقة .

ثالثا : بعث ديوان ابن عبد ربه الى الوجود انصافا له خاصة ، وللادب الاندلسى والعربى عامة .

وقد قسمت هذه الدراسة الى بابين رئيسيين خصصت الاول منهما لعصر ابن عبد ربه وحياته واغراض شعره ، اما الباب الثانى فقد ضم نص الديوان بعد جمعه وتحقيقه .

(1) بحث لنيل دبلوم الدراسات المعمقة من جامعة الجزائر تحت اشراف الدكتور عمر موسى باشا .

وقد قسمت الباب الاول الى فصلين ، تفرع الاول منهما عن ستة أقسام ، تحدثت فيها عن الحياة الاجتماعية والدينية والثقافية فى عصر ابن عبد ربه كما تكلمت عن حياته وشخصيته وعلاقته بامراء بنى أمية ، وآثاره وقيمتها العلمية ٠

اما الفصل الثانى فتطرقت فيه الى اغراض شعر ابن عبد ربه وهى : 1 المديح ، 2 الوصف ، 3 الغزل ، 4 أغراض أخرى ٠

الفصل الاول من الباب الاول ـ عصر ابن عبد ربه وحياته ـ

أولا : الحياة الاجتماعية والديبية ٠

تحدثت بايجاز شديد عن عصر ابن عبد ربه وتجنبت التفصيل خوف الوقوع فى ترديد ما قاله الكثيرون من المحدثين الذين تعرضوا للعصر واعلامه ٠

قدر لابن عبد ربه ان يعاصر فترتين متباينتين وقد كانت نقطة التحول عند نهاية القرن وبداية الآخر ، اذ ان الناصر تولى الحكم فى الاندلس سنة 300 هـ ، ويعنى هذا دخول الاندلس عهدا من الازدهار شهد ابن عبد ربه جانبا منه ، وسجله فى اشعاره ، على عكس الظروف التى عاينها فى عهد الامراء الثلاثة السابقين ٠

يتكون المجتمع الاندلسى من السكان الاصليين الذين ادركهم الفتح الاسلامى ، ومن هؤلاء من اعتنق الاسلام ، ومنهم من بقى على الدين المسيحى واكتفى باظهار الطاعة ، ومنهم من توغل فى الجبال أو اتجه نحو الشمال ٠ ثم تضاعفت الهجرة وتوالت من شمال افريقيا ومن الشرق بعد ان استتب الامر ، وخاصة بعد سقوط الدولة الاموية ووصول عبد الرحمن الداخل اليها ٠ ثم كان لهذا التمازج أثر سىء برز فيما بعد ، وسبب كثيرا من الفتن نتيجة رفض العناصر بعضها بعضا ، ونتيجة التنافر الطبيعى والتضارب بين الجنسيات المختلفة ، لذلك لم يكتب للمجتمع الاندلسى الاستقرار الا فى فترات قليلة ، منها فترة عبد الرحمن الناصر ، التى ينتهى اليها التحديد الزمنى لهذا البحث ٠

على ان هناك الدين الاسلامى الذى يجمع هذا الشتات ويوحده ، اذا استثنينا المسيحيين واليهود الذين بقوا على دينهم ٠ فالفتح نفسه تم باسم الاسلام ولغرض نشره

وتوسيع رفعته، بالاضافة الى ان الحكم كان باسم الدين · غير ان الذى كان له كبير الاثر على سير الحياة الاجتماعية بعد شخصية الحاكم ، هو الجهاز الذى يسيطر بالفعل على على تسيير شؤون الدولة ، كالكتاب والحجاب والوزراء والقضاة الذين بيدهم مقاليد الامور ، وكان هؤلاء وراء الكثير من الاحداث التى هزت الاندلس واقلقت الامراء ، وسببت انعدام الامن واستمرار الشغب ·

ثانيا : الحياة الثقافية · ان الحركة الادبية فى الارض الجديدة وجودها ضرورى ولا يتصور انعدامها · فمن خلالها يصور الفاتحون حياتهم ومشاغلهم ، ويعكسون بهـا واقعهم وتطلعاتهم · وهذه الحركة لا تبتعد كثيرا عن صورتها فى المشرق ، من حيث المضمون والخصائص الفنية ، فى هذا العهد المبكر من القرن الثانى الهجرى ، الذى توجه اهتمام الفاتحين فيه بالدرجة الاولى نحو السيطرة على الوضع واخضاع البلاد مع ان دخول العرب الى الاندلس يعنى دخـول ثقافـة جديدة ولغة جديدة · فهم الفاتحون والمسيطرون على البلاد ، وهم الممثلون لحضارة أصيلة فى المشرق ، جاءوا متحمسين لنشرها فى بـلاد دخلوها بنيـة الاستقرار · يضاف الى هـذا اهتمامهم بنشر الـدين الاسلامى ، وهذا يفسر ظاهرة انتشار اللغة العربية ، لانها لغة القرآن ، ووسيلة لنشر تعاليمه ، ولغة الفاتحين ، فاصبحت بذلك اللغة التى وحدت ، وسهلت التفاهم بـين الاجناس المختلفة ، التى يتركب منها هذا المجتمع الجديد ·

ما من شك فى ان العوامل التى تتطلبها أى حركة فكرية لازدهارها بدأت تتـوفر شيئا فشيئا ، ويبـدو هذا واضحا فى القرن الثالث ، فان العـرب بدأوا يشعرون بالاستقرار وما يتبعه ، خاصة وهم الطبقة الحاكمة · فقد كانت المجالس تعقد فى دور الامراء وابناء الامراء من بنى مروان ، على غرار ما كان يقع فى بغداد ، وبمحضر جماعات من الادباء مما يضفى على هذه المجالس جوا علميا وأدبيا خالصا · ولم يقتصر الامر على الادب والشعر ، فقد يكون الاديب منهم طبيبا أو فلكيا أو عالما بالحسـاب أيضا · وبعبارة أخرى فان حـركة العلـوم كانت نشيطة في هذه الفترة · وما الازدهار الذى شهده القرن الرابع الا ثمرة لهذه البوادر التى برزت في القرن السابق ، وساعد علي

ذلك تشجيع الحكام لاهل العلم · ولعل ابن عبد ربه يكون احد الاعلام البارزين الذى دل وجوده على الازدهار الذى بلغه القرن الرابع ، ففيه تبلورت الحركة الادبية وأتت ثمارها .

ثالثا : حياة ابن عبد ربه · يرتقى نسبه الى جده الرابع ، وقد كان هذا الجد مولى لهشام بن عبد الرحمن الداخل ، كنية الشاعر أبو عمر ، واسمه أحمد · ويدخل ابن خلكان فى القرن السابع اضافة جديدة الى نسبه فينعته بالقرطبى ، ولعله لا يقصد الشاعر وانما سالما جده · والمعروف ان المولى هو الجد وليس هو ابن عبد ربه · والحقيقة ان الالتباس ظل قائما بعد ابن خلكان ، فقد سار المؤرخون بعده على هداه · ويلاحظ اشتباه الامر عليهم فى انهم خلطوا بينهم وبين جده سالم فى أمرين : الاول ، فى نسبته الى قرطبة والثانى فى كونه مولى بنى أمية ، وقد بدأ ذلك فى القرن الثامن مباشرة عند ابن كثير بهذا الشكل ، « أبو عمر القرطبى مولى هشام بن عبد الرحمن » وبهذا يكون ابن كثير أول من نسب ابن عبد ربه الى قرطبة صراحة ، وأول من عده مولى هشام ابن عبد الرحمن ، واذا علمنا ان هشاما هذا توفى فى القرن الثانى وابن عبد ربه فى القرن الرابع ، تبين أهمية الخطا الذى وقع فيه ابن كثير ، وأوقع فيه كل من أخذ عنه بعد ذلك · معنى هذا ان ابن عبد ربه لم يكن ينسب الى قرطبة فى التراجم الاولى ، وانما جاءت هذه النسبة متأخرة جدا ·

أما بالنسبة لضبط تاريخ وفاته ومولده ، فيعد ابن الفرضى فى القرن الرابع أول من حدد وفاته ويأتى بعده الحميدى فى القرن الخامس ليذكر تاريخ ولادته ، ويبدو أن جميع الاخبار حول هذا الموضوع استندت فيما بعد الى أحد هذين المصدرين بطريقة أو بأخرى · فمولده سنة ست وأربعين ومائتين ووفاته سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة · أما موضوع أسرته فانه أكثر الجوانب غموضا ، فلا الشاعر ولا انتاجه يقدمان لنا شيئا ، ولا المؤرخون الذين اهتموا به وصفوا محيطه وأسرته · ولعل السبب الرئيسى يرجع الى ان الشاعر كان مجهولا قبل ان يشهره انتاجه ويعلو به علمه ، وهو ما قد يفهم من عبارة الحميدى « وساد بعد خمول واثرى بعد فقر » وكل الذى يمكن التأكد منه هو انه تزوج وانجب أولادا ، رثا اثنين فقدهما · وله ابن أخ عرفناه ، من خلال المشبادة التي وقعت بينه وبين عمه ·

رابعا : شخصية ابن عبد ربه · جنى على شخص الكاتب مؤلفه حتى اصبح يعرف به فيقال : ابن عبد ربه « صاحب العقد » · ومن المؤكد انه لم يكن صاحب العقد وكفى ، انما كانت له شخصيته ومميزاته وأدبه ، فهو « شاعر الاندلس وأديبها » كما جاء عند ابن الفرضي . ويحدثنا عنه الحميدي فيقول « كان لابى عمر بالعلم جلالة وبالادب رياسة وشهرة » · ويقول عنه ايضا فى تعبير موجز جامع « من أهل العلم والادب والشعر » · ونعيش الصورة ذاتها وتتنقل عبر العصور ويصفه ابن سعيد فى القرن السابع بانه « قدوة شعراء الاندلس وأدبائها » ويعده فى موضوع آخر « امام أهل أدبها بالاندلس ومصنفيها وفرسان شعرائها » · والملاحظ عند المتقدمين تركيزهم على شاعرية ابن عبد ربه وتصدره هذا الفن فى عصره · وهؤلاء قد أتيح لهم بدون شك الاطلاع على شعر وافر لابن عبد ربه لم يكتب له الحفظ وضاع جله ، وفقد من أجل ذلك مكانته بين الشعراء فى نظر المتأخرين ·

الحقيقة أن الحديث عن شخصية ابن عبد ربه لم يستنفد بعد ، ولم ينل حقه من الدراسة والتمحيص ، ولعل احسن خدمة فى هذا المجال تلك التى قدمها لنا الحميدى ، وتكاد تكون فريدة من نوعها ، وهى تقدم الجواب عن عدة تساؤلات · يقول الحميدى : « فقد اتفقت لابن عبد ربه أيام وولايات للعلم فيها نفاق فساد بعد خمول ، وأثرى بعد فقر وأشير اليه بالتفصيل ، الا أنه غلب الشعر عليه » ويعنى هذا ان شهرة ابن عبد ربه ، كانت من صنع يده لانه لم يثبت انتسابه الى بيت متميز فى مجتمع قرطبة ، بل أكثر من هذا الاشارات العابرة الواردة عند ذكر جده الرابع « سالم » تشير الى أنه كان مولى لهشام بن عبد الرحمن الداخل ، اى أنه لم يكن ينتسب الي بيت من بيوتات الشرف فى عصره وهذا سر اشتهاره فى وقت متأخر جدا ، وذلك بعد أن تمكن من العلم وصار كعبة القصاد ، حتى « كتب الناس عنه تصنيفه وشعره » كما يقول ابن الفرضى ·

لم يثبت ان ابن عبد ربه خرج من الاندلس طلبا للعلم ، وهذا غريب ان تأكد ، نظرا لاهتمام الاديب باخبار المشرق وتوسعه فيها ، حتى شغله ذلك عن أدب بلاده وروايته · وقد عوضه السفر تتلمذه لعلماء برزوا فى عصره ، ذكرهم ابن الفرضى فقال : « سمع من بقي بن مخلد وابن وضاح والخشني » وهل اقتصر الامر على هؤلاء الثلاثة ؟ ومهما يكن

فاننا لا نملك تفصيلات أخرى وهو نفسه لم يذكر شيوخه ، ولكنه لا يعقل أن يكون أحد فى علم ابن عبد ربـه وسعة اطلاعه وشهرته ، قـد سمع من ثلاثة من الشيوخ ، واكتفى بما عندهم وقرطبة فى عهده محط رحال العلماء ٠

اما عـن ديانته واخلاقه ، فانه يصعب جـدا الخروج بنتيجة مرضية عند التعرض لديانة واخلاق الشاعر ٠ فالحميدى مثلا ، أول من ذكر ان الشاعر قال شعرا يكفر به عن شعر الغزل والصبا سماه « الممحصات » وأورد له مثالا واحدا ردده معظم الذين ترجموا له ٠ وراى بعض هؤلاء المترجمين ان الممحصات جاءت تكفيرا عن شعر المجون ، وهو ما يفهم من كلام الفتح بن خافان ٠ وليس لهذا القول من سند ، خاصة وهو يورد المثال الذى جاء عند الحميدى ٠ وقد ترددت كثيرا عند القدماء فى صدد الحديث عـن صفات الشاعر الفاظ مثل « الديانة ، الصيانة ، الورع » وهذا مـا قـد يثبت تدينه وتمتعه بسمعة طيبة ، على أن حياته الاولى لا تخلو من بعض اللهو لا يصل الى حـد المجون ، ولكنه سرعان ما تنبه الى أمره ، والتزم بسيرة العلماء والفقهاء ٠

خامسا : علاقة ابن عبد ربه بأمراء بنى أمية ٠ لا يوجد دليل يثبت مشاركة ابن عبد ربه الفعلى فى أى نشاط سياسى أو عسكرى أو اجتماعى فى عهده ، ولكن الشىء الثابت انه كان على اتصال بأمراء زمانه ، وهذه العلاقة قد تقوى وقد تضعف ، وذلك حسب موقف هذا الامير أو ذلك من مطالبه ٠

أول أمير اتصل به هو الامير محمد بن عبد الرحمن ، وهذا توفى وابن عبد ربه يبلغ حينئذ من العمر ثمانية وعشرين عاما ، ورغم حداثة سنه ، فقد اتصل به ومدحه ، وحقق بذلك أول اتصال بالقصور فى وقت مبكر ، ولكن انتاجه قليل فى هذا الطور ، بينما يبرز فى عهد الامير الثانى ، غير أن المنذر بن محمد لم يعمر كثيرا ٠ ولذلك لم يكن لابن عبد ربه الوقت الكافى لاظهار مواهبه ، خاصة وانه وجد التشجيع من هذا الامير ، الذى عرف بسخائه وكرمه ، وشاعرنا فى حاجة ماسة الى المال فى هذه المرحلة المبكرة من حياته ٠ ويتم التحام ابن عبد ربه بالقصور فى أيام الامير عبد الله بن محمد ، حتى يصبح المتحدث باسم الشعراء بين يديه ، كما ذكر ابن حيان وهو أهم مصدر

فى هذه الفترة عن الشاعر فقد أورد له عدة قصائد لم يرد لها ذكر عند غيره · والملاحظ أن هذا المديح اقتصر على مناسبات معينة ، فهو دائما يهنىء ، أما بتسلم مقاليد الخلافة أو بالرجوع من معركة أو بالانتصار فيها ، ولا توجد اشارة صريحة الى نوع الارتباط الذى كان يصله بهذا الامير · ولعل من المفيد الاشارة الى اتصال ابن عبد ربه فى هذه الفترة من حكم الامير عبد الله بن محمد بأمير عد منافسا وثائرا على قرطبة ، وهو صاحب اشبيلية ابراهيم بن حجاج ، وفى هذا الصدد يقول ابن حيان : « وقد انتجعه شاعرهم الاكبر أبو عمر ابن عبد ربه ، من بين جماعة الثوار بالاندلس ، فافضل عليه وعرف حقه ومدحه بأماديح كثيرة هى بايدى الناس مشهورة » وهو لم يتحدث عن هذه الثورة ولعل خلافا نشأ بينه وبين الامير عبد الله ، أو لانه خيب ظنه فلم يمنحه ما كان ينتظره من أموال جزاء مديحه ، ويؤكد هذا الاحتمال ما ذكر عن ابن حجاج وسخائه واستقباله للشعراء استقبالا حسنا وعلى رأسهم ابن عبد ربه ·

ونتجاوز ابن حجاج وننتهى الى الامير الخامس ، الذى حط ابن عبد ربه عنده رحاله وتفرغ له وذلك مع مطلع القرن الرابع وقد بلغ من العمر فى حينه أربعة وخمسين عاما · واتضحت شخصية ابن عبد ربه وكثر انتاجه ، خاصة وهو يبدو مشدودا الى الامير الحاكم أكثر من أى وقت مضى · فلا شك ان تغييرا كبيرا طرأ فى حياة ابن عبد ربه · وارتباطه بالناصر تعدى اطار المجاملة والمديح التقليدى الذى يلاحظ فى علاقاته السابقة بالقصور ، الى التعلق والاعجاب بهذا الامير الشاب · ومرد هذا التحول عند ابن عبد ربه ، يعود الى تمكنه من اداة العلم ونضجه أولا وذلك بتجاوزه سن الشباب ويبدو لذلك أكثر رصانة وتعقلا واتزانا · بالاضافة الى أنه وجد عند الناصر التشجيع الذى يحتاج اليه شخص فى مثل ابن عبد ربه ، فى رهافة الحس ورقة الشعور ، ليواصل قول الشعر ويجيد · وقد اثبت لنفسه فى العقد اشعارا كثيرة قالها فى الناصر ، الشىء الذى لم يفعله لمن قبله من الامراء · والحقيقة ان الناصر حظى بعناية خاصة من طرف ابن عبد ربه · فهو قد عمد الى غزواته كلها ونظمها رجزا ، حتى اضحت سجلا تاريخيا حافلا بأحداث يصفها شاهد عيان · وقد لازمه من يوم ولايته وتتبع أعماله وحركاته بعد ذلك للقضاء على الفتن · فلما تحقق ذلك للامير استبشر وهلل ، واستقبله بالتهنئة ·

سادسا : آثاره وقيمتها العلمية • دراسة العقد يجب النظر اليها على انها جزء من دراسة ابن عبد ربه نفسه ، ولكن مثل هذه الدراسة تتطلب منهجا مستقلا بذاته • وقد تحدث عن العقد كثيرون وخصص له بعضهم دراسات مستقلة أرى انها تغنى على انني ارغب فى التركيز على كل انتاجه ، ما عدا العقد الذى كانت له حصة الاسد من قبل ، واغفل غيره مع انه لا يقل من حيث الاهمية •

الشعر : ان معظم شعره الذى حفظ انما كان عن طريق العقد فاليه يعود الفضل فى نقل شعر كثير • على أن ما صرح به وانه قال شعرا كثيرا فى غزوات الناصر فانه لم يسجل منه فى العقد شيئا يذكر وقد أكد ان هذا الشعر جال فى الامصار حتى أتهم وأنجد وأعرق • وقد كتب بالفعل لبعض قصائده الخلود كما أشار مع انها لم ترد فى العقد ، وهذا يقوم دليل على فقدان اشعار كثيرة قالها فى الناصر وفى الامراء الذين سبقوه • وهناك شىء آخر فى غاية الاهمية نجده عند الحميدى ، وهو أول من أشار الى ديوان ابن عبد ربه • وما من شك فى ان كتاب الحميدى من أهم المصادر التى يعتمد عليها ويوثق بها ، من أجل هذا فان اشارته الى وجود ديوان ابن عبد ربه وأنه رآه بنفسه ، تجعلنا نطمئن الى انه كان لابن عبد ربه شعر كثير ، ولكنه لم يصل الينا • وما هذا الذى بين أيدينا الا عينات لا تعكس فى شىء شاعرية الشاعر • والنتيجة التى يمكن الإنتهاء اليها هى ان ديوانه قد يكون فقد فى فترة متقدمة جدا ، لاننا اذا استثنينا الحميدى الذى ذكر بصريح العبارة انه رأى الديوان ، وهو يضم أكثر من عشرين جزءا ، وقد جمع للحكم ابن عبد الرحمن ، أى بعد موت ابن عبد ربه بما لا يقل عن ربع قرن من الزمن ، اذا استثنينا هذا فان احدا لم يؤكد وجود هذا الديوان ولا حجمه ولا ما يضمه من شعر •

الموشحات : يلاحظ ورود اسم ابن عبد ربه كلما كان الحديث عن نشأة هذا الفن فى بلاد الاندلس مع أحد معاصريه ، والاشارات الاولى الى هذا جاءت عند ابن بسام ثم ابن خلدون فالمقرى • وكلهم يؤكدون ان ابن عبد ربه كان ثانى اثنين اخترعوا فن التوشيح بالاندلس الا ان موشحاتهما كسدت ولم يرد لها ذكر مع المتأخرين من الوشاحين • وقد يكون سبب كسادها المعارضة التى تواجه كل جديد من طرف دعاة

المحافظة على الشكل المألوف للقصيدة العربية · أو قد يكون السبب تجاهل المعاصرين لها وعدم روايتها وتناقلها · وأقل ما يمكن استنتاجه من هذه الروايات ، هو ان لابن عبد ربه يد في زيادة فن التوشيح · ومن المسلم به أنه لم يصلنا شيء من ذلك للاسباب التى سبق ذكرها ، ومع ذلك فمجرد ورود اسم ابن عبد ربه بين مخترعي هذا الفن يتضمن أكثر من دلالة ، فمحاولاته التجديدية العديدة فى أكثر من ميدان تؤكد ذلك وطريقته الخاصة فى تأليف العقد ، وارجوزته التاريخية ، وارجوزة العروض مثلا ، واسهامه فى وضع الاسس الاولى لفن التوشيح ، كل ذلك يبين مقدار ما يتمتع به الشاعر من نزعة تجديدية وميل للابتكار ، وعلى سبيل المثال أسلوب التضمين فى المقطوعات التى وضعها امثلة للعلوض وضمنها امثلة الخليل وهى شيء لفت انتباهى اليه استاذى المشرف بعد الفراغ من الطبع وتعذرت الاشارة اليه فى موضعه من البحث·

الارجوزة التاريخية : هى ارجوزة طويلة فى أربعمائة وخمسة وأربعين بيتا فى ثلاث واعشرين مقطوعة ومقدمة · والمقدمة تضم تسعة وثلاثين بيتا ، هى كل ما يمكن استثناؤه واخراجه من موضوع الارجوزة التاريخى ، ذكر فيها فضائل عبد الرحمن الناصر ، وانهاها بالاشادة بجوده وكرمه ،وتقيد فى الارجوزة بعد ذلك بالترتيب الزمنى ، فافرد لكل سنة مقطوعة خصصها لغزوة أو أكثر كانت جرت فيها ، وتوقف سنة 322 هـ · ومن المعلوم ان ابن عبد ربه بعد ذلك بست سنوات ، ولم يذكر سبب توقفه هنا ·

أرجوزة العروض : هى اصغر من سابقتها ، وردت فى الجزء الخامس من كتاب العقد ، تضم الارجوزة مائتى بيت قسمها موضوعيا الى مقطوعات ، خص كل مقطوعة بموضوع معين · وهى لا تتميز بأى قيمة فنية لانها مجرد قواعد جامدة وضعها لهدف تسهيل حفظها وتناقلها ·

نثره : على الرغم من ضخامة العقد فاننا لا نكاد نشعر بأثر المؤلف ، وهو نفسه يقر بذلك قائلا : « وانما لى فيه تاليف الاخبار وفضل الاختيار وفرش فى صدر كل كتاب · وما سواه فماخوذ من افواه العلماء ومأثور عن الحكماء والادباء واختيار الكلام أصعب من تأليفه » · وهذه الديباجة التي اشار اليها هى كل ما يمكن أن يعد عند

جمعه نموذجا لطريقته فى التعبير ، مع ان بعضها غالبا ما يكون مقتضبا وهذه الديباجة فى معظمها وحدة متجانسة من حيث الشكل اذ تتألف من عدد من الجمل القصـــيرة المتجانسة ، تبين الفائدة من الموضوع الذى تتصدره وتصف فضله وتذكر ميزاته ٠

وقد خصصت الفصل الثانى لاغراض شعر ابن عبد ربه بادئا بالمديح وأول اتجاه واضح فى هذا الباب عنده ، ظهر مع جلوس الامير عبد الله للامارة والشاعر لم يبلغ بعد الثلاثين ٠ ولكن المصادر اشارت الى اتصاله بالاميرين السابقين محمد بن عبد الرحمن ثم ابنه المنذر دون تقديم امثلة من هذا المديح ٠

استعرضت هنا قصيدتين لابن عبد ربه فى الامير عبد الله بن محمد بينهما فارق زمنى يقدر بعشرين عاما ٠ والقصيدتان فى التهنئة ٠ ولكن الاولى تهنئة بالجلوس بالامارة والثانية تهنئة بالانتصار فى معركة ، ولاحظت فى القصيدة الاولى تفككا فى الفكرة ، فهى تبدو وكأنها مجموعة خواطر دارت فى ذهن الشاعر جاء بها دون روية ، وخالية من أى صورة شعرية ، واذا بالقصيدة جسد بلا روح ، أو هى كلام مرسل لا علاقة لها بالشعر الا مــن حيث الــوزن ، بينما فى القصيدة الثانية أى بعد عشرين سنة ، جاءت القصيدة متينة ، يتحدث فيها بثبات واعتداد ، وهو فى هذا الطور قــد اكتملت عنده آلـــة التعبير فالقصيدة تنقاد له طوعا ، والافكار تتتابع بكل وضوح ٠ وتفرغ بعد هذا لعبد الرحمن الناصر ، وكرس نفسه على تتبع وتسجيل غزواته والاشادة بها ، ــ وقد تقدم الحديث عن الارجوزة التاريخية التى خصصها لتحركاته لمدة تجاوزت العشرين عاما ــ والى جانب هذا فله فى الناصر قصائد جيدة ، تعكس بوضوح ما تحقق فى أيامه من أعمال ٠

ولا يبدو للتكسب اثر فى شعره ، ولم يتخذ من الشعر وسيلة للرزق واقل ما يمكن قوله هو ان الشعر الذى بين ايدينا فى هذا الموضوع لا يحمل أى دليل يوحى بان الشاعر كان يستجدى أو يلح فى التطلب الا فى حالات نادرة ، من هـــذه توجهه الى اشبيلية ، واتصاله باميرها ابراهيم بن حجاج ٠ وقد قال فى هذا الامير شعرا متكلفا ، دفعه الى ذلك استجداء الامير والرغبة فى ماله ٠ وتوحى مدائحه فى الامراء بقيم اخلاقية

عالية كان يتحلى بها الشاعر • وهو يبدو معتدلا فى مدائحه ، فلم يلجأ ابدا الى اذلال نفسه أو بالغ فى الطلب •

اما عن الوصف فيمكن أن نعد ابن عبد ربه شاعر الوصف والتصوير منذ البداية، وعلى الخصوص فى وصف المعارك وما يتبعها • فقد جعل من نفسه الناطق والمؤرخ لهذه الغزوات التى لا تخلو منها سنة على طول ما عمر ، شهد تلك الحروب وخلدها فى شعره ، فكانت له فى ذلك مقدرة عجيبة فى التصوير مكنته من الغوص بعيدا بحثا عن المعانى الجديدة ، دون تكلف أو تصنع • ففى تعرضه لاخطر ثائر شهدته قرطبة فى عهده وهو عمر بن حفصون مثلا ، يصفه لنا كيف انه نجا بنفسه فى جماعة من اصحابه ليلا وكل املهم الا يطلع الصبح ، حتى لا تكتشف وجهتهم ، بينما اصحاب الشاعر يتمنون لو يتحول الليل الى نهار استعجالا للقاء • ثم يتقمص شخصية المؤرخ الراوى فيسرد الحادثة بتفاصيلها زمن حدوثها وظروفها المحيطة واسبابها وعدد الاشخاص وحالتهم النفسية وقلقهم ، كل ذلك بأسلوب خبرى ، ثم ان المسلمين أقاموا الافراح فى يوم عيد الفصح ، فلن يستطيع المشركون الاحتفال بعيدهم لانه أصبح عليهم مأتما • ان وقع الانتصار فى نفوس المسلميز كبير فى يوم لو انهزموا فيه اذن لكان لاعدائهم عيدان عيد النصر وعيد الفصح • وفى شأن عمر بن حفصون وبعد هذا الوقت بكثير يحقق الامير عبد الله بن محمد انتصارا كبيرا عليه ، فيعكس لنا كيف أفلت ابن حفصون من الموت فى ليلة كانت بالنسبة اليه المعراج ، نقلته بعيدا عن مواطن الخطر المحقق ثم يستمر فى وصف حادثة الفرار فى نفر من أصحابه ، وقد ألفوا الهرب تحت جنح الظلام ، وكأنهم قد تعودوا حياة الليل ، وفى هذا اشارة الى المؤامرات والدسائس التى تحاك عادة بالليل ـ فان فشلوا وذلك شأنهم ـ يستفدون من الظلام ليلوذوا بالفرار ، ولكن الكثير منهم تنقطع دونهم الطرق ، ولا يستطعون مغادرة حصونهم فتتحول هذه الى سجون أبوابها مغلقة عليهم وقد كتب عليهم الهلاك داخلها ، لان الامير يراقب ويسيطر على السبل المؤدية الى الحصن كلها حتى لكأنه خلق ولم تكن له طريق تربطه بالعالم الخارجي •

والواقع ان ابن عبد ربه نفسه أعجب بشعره فى هذا الباب وبالمعانى التى اخترعها وليس هذا فحسب ، فهو يذهب الى أبعد من ذلك ويدعى أنه السابق والمخترع لهذا المعنى الذى أشار اليه بقوله : « وقد وصفنا الحرب بتشبيه عجيب لم يتقدم اليه ومعنى بديع لا نظير له » . هذا عن وصف الحرب الذى غلب على الشاعر وبرع فيه ، وشعر الوصف عن ابن عبد ربه لا يقتصر على ميدان الحرب ، مع أنه الغالب عليه فان له فى وصف الرياض مثلا عدة مقطوعات أوردها لنفسه فى العقد . والاشعار كثيرة فى غير هذين البابين تناول فيها بالاضافة الى وصف الحرب والرياض ، وصف الرماح والسيف والفرس .

الغزل ، يشغل الغزل عند ابن عبد ربه حيزا ومكانة بارزة فى ديوانه ، والحقيقة ان شعره فى هذا الباب يمكن وضعه فى المرتبة الاولى . فهو يختلف كليا عن باقى أغراض شعره ، اذ يبدو ابن عبد ربه هنا على حقيقته ، وتبدو من خلاله طباعه الرقيقة وذوقه الرفيع . فهو على كثرة ما قال فى هذا الباب ، لم يلجأ الى الاسفاف ، بل يمكن القول ان غزله فى غاية الرقة فى مضمونه وحتى فى شكله ، واذا كانت المقطوعات مقتضبة وقصيرة الا أنها توزعت فى الديوان كله حتى لا تكاد تخلو منها ورقة . فابن عبد ربه أسير العيون ، وقع فى شباكها وشكاها بشتى الطرق . فان أول ما يثيره فى حبيبه ألحاظه . ويتردد مرارا توجيه الخطاب باللوم لالحاظ الحبيب . ويشتد وقع الالحاظ عليه فيتعرض لوصفها ويمعن فى ذلك ويتعمق فى الوصف ، حتى يعثر على معنى جديد فيستخرجه . وعند ذلك يصيح من قوة الفرح لهذا الاكتشاف وتعجبه الصورة ويقول مقدما لها : « ونظير هذا من قولنا فى رقة التشبيب وحسن التشبيه البديع الذى لا نظير له والغريب الذى لم يسبق اليه » .

وفى مجال الشكوى من الهجران والتطلع الى الوصال ، يحاول ابن عبد ربه هنا تصوير عواطفه والتعبير عما يخالجه وهو يصلى نار الحب وكان يبكى بمرارة بل يعد البكاء على حبيبته تسلية ونعيما .

والتساؤل الذى شغلنى وأنا أتتبع فى الديوان شواهد هذا الباب الى الباعث عن هذا النوع من الشعر وهل مر الشاعر حقيقة بهذه التجربة وأصابه ما أصاب المحبين

من نجاح واخفاق ، واذا كانت التجربة مرت عليه حقيقة فمن تكون هذه التى غناها وتعذب من أجلها • فالشىء المؤكد ان شعره لا يقدم اجابة واضحة فى هذا الميدان كما أنه لم تلاحظ أية ظاهرة خلاعة أو مجون كما تقدم عند استعراض حياته فى الفصل الاول • واذا ثبت هذا هل يحتمل ان يكون الشعر الغزلى عنده مصنوعا ؟ ذلك ما أستبعده الا فى حالة واحدة ، يبدو أنه صنع أمثلة أوردها لثلاث وستين ضربا من ضروب العروض قال عنها : « واختصرت المثال فى الجزء الثانى فى ثلاث وستين ضربا من ضروب العروض وجعلت المقطوعات رقيقة غزلة ليسهل حفظها على ألسنة الرواة » فظاهر منها أنها وضعت لغرض تعليمى وأثر التكلف بارز فى أكثر المقطوعات •

أغراض أخرى ، تلك هى الاغراض الرئيسية فى شعر ابن عبد ربه • ويمكن حصر ثلاثة أغراض أخرى ثانوية • أولها : الرثاء • ولا شك ان ما فى الديوان من هذا الشعر ليس كل ما قاله فى هذا الباب ، خاصة وان هذه المراثى وعددها خمس مقطوعات غاية فى الجودة ، وتدل على تمكن الشاعر وقدرته على القول فى هذا النوع من الشعر الذى نلمس فيه حزنا عميقا وبكاء مرا ، وكما يبدو من مضمونها فانها جاءت كلها في رثاء ولدين فقدهما •

ثانيهما الهجاء : لم يشتهر عن ابن عبد ربه انه تبادل الهجاء مع اطراف أخرى الا فى حالة واحدة أما الزهد فيبدو انه كان لابن عبد ربه طريقته الخاصة ، فانه لما تقدمت به السن عمد الى أشعاره فى الغزل والصبا ، ونظم على رويها شعرا فى الزهد اعلانا عن توبته وتكفيرا عن زلته ، وسمى هذه الاشعار بالممحصات • وهو شعر ضاع كله ولابد ان يكون مساويا لما قاله فى الغزل والصبا • واذا علمنا ان هذا النوع من الشعر لا تخلو منه ورقة فى الديوان ، ادركنا أهمية الشعر الذى ضاع فى هذا الباب من شعر الشاعر • وأورد الحميدى مثالا واحدا لهذا النوع ، وتناقله الآخرون من بعده ، والجدير بالملاحظة ان ابن عبد ربه سكت عن هذا النوع من الشعر فلم يشر اليه الا الى المقطوعتين المذكورتين فى هذا الباب •

هذا عن الباب الاول من البحث بفصليه • اما الباب الثانى فقد ضم النص الكامل للديوان مع تعاليقه ، واعتمدت فى جمعه بالدرجة الاولى كتاب العقد ، ثم المصادر القديمة

الاخرى التى روت شعر الشاعر ، ويأتى فى طليعتها كتاب يتيمة الدهر للثعالبى ورتبت المصادر ترتيبا زمنيا لترجيح الرواية القريبة من عهد الشاعر . وذكرت فى الهامش الروايات الاخرى بنصها اذا اختلفت ، واكتفيت بالاشارة الى هذه الروايات المتعددة حين اتحادها . وقد ارجح رواية مخالفة لرواية العقد اذا اتضح ان هذه غير مقبولة .

اما عن طريقة تحقيق الديوان فاننى بدأت باثبات البيت على الرواية المعتمدة ، ثم أشرت في الهامش الى مختلف الروايات الاخرى ومصادرها ومواضع ورودها حسب تعددها . وقد فضلت ذكر مناسبة المقطوعة فى الهامش مع الروايات الاخرى اذا وردت المقطوعة ومناسبتها فى أكثر من مصدر . وشرحت الكلمات التى بدت لى صعبة واعتمدت فى ذلك لسان العرب على الخصوص .

واتبعت فى وضع الديوان الترتيب الهجائى للقافية ، ورقمت المقطوعات من أول الديوان الى آخره فتوصلت الى جمع مائتين واثنتين واربعين مقطوعة . ورقمت الابيات حسب قوافيها كل قافية على حدة .

وختمت البحث بستة فهارس كان أولها فهرس مصادر البحث ، ثانيها فهرس اعلام الاشخاص ثالثها فهرس أعلام الطوائف والقبائل والشعوب ، رابعها فهرس اعلام المناطق الجغرافية ، خامسها فهرس الشعر ، سادسها فهرس محتويات البحث .

وفى اعتقادى ان نتيجة هذا البحث هى اخراج ديوان ابن عبد ربه الى الوجود ليستفيد منه القراء والباحثون والدارسون للادب الاندلسي خاصة والادب العربى عموما.

عبـــاس و البحـــر

محمـــد نسيـــب
نائب مدير فى المركز الثقافى
الاسلامى بالعاصمة



كان عباس يحب البحر حبا شديـــدا الى درجة التقديس لقد صحب البحر منذ أربعين سنة وهو يعيش على هذا الشاطىء يتردد عليه من حين لآخر ولا سيما فى أيام الحر ، وكلما جاء الصيف ترك عباس المدينـــة وضوضاءها فارا من ازدحامها ودخانها وجوها الخانق وتكاليفها المرهقة لا تبتهج نفســه ولا يطمئن قلبـــه ولا ينشرح صدره ولا يحس بالسعادة الا عندما يشم رائحة البحر ويسمع هديره ويرى أمواجه تعلو كالجبال تنطح الصخور والشاطىء يردد صداها : ويشعر عباس بلمسات سحرية خفية لطيفة تلمس قلبه وتثير احاسيسه وتلهب شعوره وتوحى له بالحب والجمال وتعيد له ذكريات السنين الماضية عندما كان يجلس قرب البحر ليمتع بصره بمياهه الصافية ولونه الازرق ويشنف سمعه بموسيقاه الصامتة والحانها العذبة الساحرة ...

هكذا قضى عباس جل أيام شبابه فى هذا الشاطىء الجميل الذى تعلم فيه أشياء كثيرة . وكان يجلس ساعات طويلة بالليل والنهار فيحاور هدير البحر ويبادله الشعور ، وكلما اشرف على هذا المنظر الحبيب اشرقت الآمال فى نفسه وأضاءت أفقه لتبدو له الحياة جميلة باسمة مشرقة وضاءة مغريه ... وتوحى بمعانى العزة والكرامة والطهر والصفاء ...

وكان عباس يسمع عن الناس أحاديث كثيرة عن الفساد المنتشر فى المدن والقرى والانحلال الخلقى والتفسخ والتمسخ الذى جرف العباد ولا سيما الشباب أمل البلاد، والتغير الذى وقع فى العادات والتقاليد . انه شيء مخيف مزعج يبعث الحيرة والقلق فى قلوب الناس ، وتسمع عنه الحديث فى المحافل ، فى المقاهى ، فى الشوارع ، ولكن عباس كان مطمئن البال مرتاح العقل لم يشغله هذا الحادث الهام الذى زعزع جل الناس وشغل بالهم ولم يعر أدنى اهتمام لهذه التخوفات والتنبؤات ، فلم يكن يخطر بباله ان هذا الفساد سوف يشمل الشاطىء أيضا . وينتشر فيه كما انتشر فى البر ، بل سيظهر فى الشاطئ فى أقبح منظر وابشع صورة .

وكان عباس يقول للناس : ان الارض عالم الناس عالم الآثام والاشرار والاجرام ... أما عالم البحر فعالم الجمال والطهر والصفاء فيه أعيش وفيه أموت، لكم عالمكم ولى عالمى .

لقد أقبل الصيف بحره اللافح وبدأت علامته تظهر فى كل حى من أحياء المدينة وعباس لا يعرف الصيف الا بهذه العلامات ولا يعلم بدايته الا عندما تتهاطل على منزله دعوات الاعراس ويسمع (الدربوكة) فى كل مكان والبارود يزعج سكان المدينة ... والزغارد تشق عنان السماء ، والطبول تقرع والمزامير تنفخ ، وقوافل السيارات تجوب الشوارع وتخترق الاحياء بأبواقها المزعجة كانها صفارة الانذار . ولذا ترى عباس راحلا من المدينة فارا من عالم الارض الى عالم الماء الذى فارقه منذ عشرين سنة ، لقد عاوده الشوق والحنين الى البحر الذى قضى فيه طفولته وشبابه ، وترك هناك أعز ذكرياته في عالم الماء كما يسميه عالم الجمال والطهر والصفاء ... عالم الهدوء والتأمل والدراسة واطمئنان النفس . ولكن عباس وجد كل شيء قد

تغير وتبدل فى الشاطىء كأن مئات السنين قد فصلت بينه وبين البحر لا عشرون سنة، وشعر انه فى عالم آخر ، عالم لم يره منذ خلق وتعجب عباس بهذا التغير السريع الذى طرأ على البحر ، وهذا الجنس الغريب الذى وجده فى الشاطىء رأى الصراع والخصام والعراك وسمع الشتم والسب واللعن والصياح والشاطىء يردد صدى الفحش والبذء الذى يخجل منه الانسان ويندى له الجبين كلما سمع عباس هذه الالفاظ شعر بتمزق النفس والتهاب الروح وكل كلمة يسمعها كانها ضربة نزلت على رأسه ، أو سهم اخترق صدره أو سكين يحز فى قلبه الدامى

يا الهى حتى عالم الماء قد فسد وبعفن من أين جاء هذا القوم ؟ لقد شوهوا كل جمال وقضوا على كل روعة، عفنوا الماء ، ومسخوا الرمال ، وخربوا كل مرافق الحياة ٠

لقد عدت اليك يا بحر بعد عشرين سنة لأعيش لحظات بين أحضانك أعيد ذكريات الشباب ، وأرى جمالك الساحر يوارى عن الوجوه القبيحة وأسمع هدير موجك استأنس به فى وحشة الحياة ويطرد عنى أشباح الخوف المهددة ٠

لكن آمالى تلاشت وتبخرت فى الهواء كل شىء قد انمحى واختفى لم أر فيك يا بحر الا هذه الصور المحزنة الملعونة صورا مشوهة ، ممسوخة تبدو لكل زائر ولكل عابر تدمع العيون وتفتت الاكباد أسفا وحسرة كيف كنت وكيف صرت يا بحر ٠

لقد ازدحمت فى رأس عباس صور كثيرة وجالت فى خاطره أفكار شتى وراح يتطلع الى هذه الوجوه التى سببت له عناء النفس وشقاء الروح كانه يعيش فى عالم غير العالم الذى عرفه منذ صباه ، ولا يمت اليه بصلة ، هل هو غريب عن هذا العالم الذى هو فيه أم أولائك القوم الذين يراهم فى الشاطىء هم الغرباء عن هذا العالم ؟ لان لغتهم غير لغة عباس وسلوكهم غير سلوك عباس ثم قال لا شك أن هذا عقاب من الله لاننا اجرمنا وآثمنا وسلط علينا هؤلاء القوم الذين لا نفرق بين ذكورهم واناثهم رجالهم متخنثون ونساؤهم مترجلات ، لا حياء لهم ولا عفة ولا احتشام ، يفجرون ويخمرون ويفسقون جهرا لا يخشون الله ولا يخجلون من عباده ، لا خوف يمنعهم ولا ضمير يؤنبهم هدفهم فى الحياة ملء البطون والجيوب عن طريق النهب والاحتيال ، يدفعهم الجشع يسوقهم الطمع ، وتستبد بهم الشهوة وتتحكم فيهم الغريزة العمياء ٠

أهذا هو انسان القرن العشرين ؟ الانسان المتحضر المتحرر زعموا أن القرن العشرين عصر النور والعلم والحضارة والتقدم ، ولكن أين النور ؟ أين العلم ؟ قال عباس ربما أعماهم هذا النور وبهرهم لان عيونهم مريضة وأبصارهم ضعيفة ، وأضلهم العلم لانه علم المادة والالحاد ، ولذا تراهم عميانا لا يبصرون هائمين تائهين لا يفقهون ولا يعقلون

ولكن عباس لا يكاد يصدق بأنهم بشر لان الانسان مهما بلغ به الامر يظل محتفظا بكرامته كانسان وعلى الاقل توجد فيه ميزة واحدة تميزه عن سائر المخلوقات · وهؤلاء لم تظهر عليهم أى علامة تثبت انسانيتهم ·

ثم تذكر عباس حكاية جدته عندما كان صبيا قالت له ذات يوم : فى آخر الزمان سيظهر قوم يسمون (الدجال) ياجوج وما جوج ، يعومون على الدنيا وينتشرون فى كل شبر منها ويكتسحون عالم الارض وعالم البحر ، لا يقف فى وجوههم شيء ويبعثون فيهما الفساد وينشرون فيهما الفوضى ويوثرون القلق والفزع وترون العجائب والغرائب والفواحش والمعاصى ترتكب جهرا فى الشوارع أمام الملأ ، لا يستخفون ولا يستحيون ، يستهلكون ولا ينتجـون ، يفسدون ولا يصلحون ، يضرون ولا ينفعون ، يأكلـون ولا يشبعون لا يملأ بطونهم الا التراب والحجارة ···

وعندما رأى عباس هذه العلامات وحلل هذه النفسيات وشهد هذا السلوك صاح فى حزن وألم ، وداعا يا عالم الانسان وداعا يا دنيا البشر فالدنيا للدجال ، والعالـم عالم الدجال ، حقا انه آخر الزمان نهاية الدنيا وخراب العـالم صدقت جـدتى فى حكايتها ، هذا هو الدجال بعينه ، الذى حدثتنى عنه وراح عباس يهرع ويركض فى الشاطيء وهو يصيح : آخر الزمان يا ناس نهاية الدنيا لقد ظهر الدجال ، يأكـــل ارزاقكم ويهلك حرثكم ويخرب مصانعكم ويتلف ثرواتكم ويلتهم اسواقكم فلا تجدون ما تشترون فتموتون جوعا ، والدجال يأكل ولا يعمل ، يلتهم كل ما فوق الارض من عشب وزرع اذا انتهى أكل التراب والحجارة ·

انظروا يا (ناس) الى الدجال قد شوه كل جمال وخرب كل مرافق الحياة ومسخ الرمال ، وعفن البحر ، وحطم الزوارق ، ومزق الشراع ··· ألا تسمعون ؟ يا ناس ، الا تبصرون ظهر الدجال ، آخر الزمان انتهت الحياة فوق هذه الارض ، هل تسمعون ؟

قلت لكم هذا هو الدجال لا يعرف الا النهم والنهب والتدمير والتخريب ... ضاع كلام عباس بين قهقهة الضاحكين الساخرين وصخب الصياح وهدير الضجيج .

عباس وجد نفسه غريبا بين قوم وحيدا فى هذا الشاطىء الشاسع المترامى الاطراف محاطا بجحافل الدجال ، مهددا فى انسانيته مهددا فى أخلاقه وعاداته وتقاليده ، عجز حتى عن الفرار من وجههم لم يجد وسيلة للدفاع أو مكانا يحميه من هذا الخطر الداهم ، سوى الاستغاثة والاستنجاد ببنى الانسان ان كان هناك انسان .

صعد عباس على صخرة عالية يستنجد ويستغيث برجال الدين ورجال العلم وأهل الغيرة والمروءة أين أنتم أيها الائمة ؟

أين أنتم أيها العلماء ؟ أيها المعلمون أيها المربون أيها المرشدون ، أيها المصلحون ، أين أنتم ؟ أين كنتم ؟ لقد اختفيتم من الوجود وغبتم عن الحياة هل تسمعون ؟ هل تبصرون ؟ لقد ظهر الدجال واكتسح البحر واحتل الشواطىء هل أنتم فوق الارض أم تحت التراب ؟ هل تسمعون أخرجوا من المساجد ، أخرجوا من المدارس ، أخرجوا من المعاهد والكليات ، تعالوا هنا ، هنا العمل هنا الجهاد هنا الصراع هنا النضال هنا ميدان الوعظ والارشاد هنا ميدان التعليم والتربية هنا ميدان الاصلاح والتقويم هنا تعطى الدروس وتلقى المحاضرات لا بين عرصات المساجد فقط وبين جدران المدارس وقاعات الجامعات ، تعالوا الى الشاطىء نروا العجائب والغرائب ، وتشاهدوا ألوانا وألوانا ، ان كنتم فى المدينة لا ترون الا لونا واحدا هنا سوف ترون الالوان السبعة ، وتعرفون الدجال وشر عمله ، وتلمسون خطره وتذوقون مرارته وتعيشون أزمته ، وتعانون مشاكله .

انزلوا الى ميدان المعركة لا تخافوا ولا تهابوا فالجندى لا يعيش فى الثكنة ولا ينام على الفراش الوثير ، بل تجده فى أقصى الصحراء ، فى أعالى الجبال فى أعماق البحار ، يوجد حيث توجد المعركة ينتقل من جبهة الى أخرى ، ينام فى الخنادق ، فوق الحصى والاشواك يعانى حر الصيف وقر الشتاء يقتحم الاخطار ويذلل الصعوبات ويتحدى الشدائد ويصارع الافاعى والعقارب من أجل البقاء .